

الكتاب الثاني

بداية النهاية

الفصل الأول

النظام الجديد

- ١ -

لم يُرسم قط مخطط شامل واف للنظام الجديد. ولكن يتضح من الوثائق المستولى عليها، ومما حدث فعلاً أن هتلر عرف حق المعرفة ماذا يقصد له وماذا يريد منه: أوروبا خاضعة للحكم النازي تُستغل مواردها لمنفعة ألمانيا وتصبح شعوبها عبيداً أرقاءً للعنصر الألماني السيد. أما العناصر الأخرى (غير المرغوب فيها) وفي مقدمتها اليهود وكذلك أيضاً الكثير من السلاف من الشرق، ولاسيما المشفقين منهم - فستتم إبادتهم.

ان اليهود والسلاف هم (أحطُّ من البشر Untermenschen) وهم لا يستأهلون العيش في عُرف هتلر، إلا للدَّح في الحقول والمناجم عبيداً لسادتهم الألمان. وليس بالكافي أن تُمحي عن وجه الأرض مدن موسكو وليننجراد ووارشو وأضربها^(١)،

بل يجب أن يُقضى القضاء التام المبرم على مدنية الروس والبولنديين والسلاف الآخرين وأن يحرموا الثقافة والتهديب المعتاد. وان تفكك مصانعهم النامية الناجحة وتشحن الى ألمانيا. وشعوبها يحولون الى الفلاحة والزراعة لإنتاج القوت للألمان ولا يترك إلا ما يقيم أودهم ويقيهم الجوع وأما أوروبا نفسها فيجب أن تكون "خالية من اليهود" كما صرح قادة النازي.

صرح (هينريخ هملر) في ٤ تشرين ١٩٤٣ في كلمة ألقاها على ضباط ال(إس. إس) في (پوزن Posen) "ما هو مقدَّر حصوله للروسي أو الجيكي لايهمني قلامه ظفر" وكان هملر في هذا الوقت الشخص الذي يلي هتلر أهمية في الرايخ الثالث بوصفه مديراً عاماً لجهاز الشرطة في كل الرايخ الثالث والرئيس الأعلى لل(إس. إس)، يملك سلطان الحياة والموت لا على ثمانين مليوناً ألمانياً وحدهم بل على ضعفه أيضاً من الشعوب المحتلة.

"[استرسل هملر يقول] ما يستطيع شعب ان يقدمه عن طريق الدم الجيد من صنف دمنا، سنأخذه حتى ولو لجأنا الى اختطاف اطفاله وتربيتهم هنا معنا. وسواء أعاش شعب من الشعوب برفاه أو جاع فمات كما تنفق الماشية فلاهمني إلا بمقدار ما نحتاجه منه كعبيد "لحضارتنا Kultur" وإلا فلن اهتم به

١- منذ ١٨ أيلول أصدر هتلر أمره الصريح بلييننجراد "أن نمحي من وجه الأرض وتُذك دكاً بعد أن يتم تطويقها" حتى تصبح قاعاً صاففاً" بقنابل المدفعية والقصف الجوي، وأن يُباد سكانها (ثلاثة ملايين نسمة) ويُطمروا تحتها" [انظر ص١١١٨ من الكتاب].

ابداً. وسواء سقطت عشرة آلاف أنثى روسية اعياءاً أثناء حفرهن خندقاً مضاداً للدبابات فلا يهمني إلا بقدر ما يكمل حفر هذا الخندق في سيبيل ألمانيا^(٢)..."

قبل خطبة (هملر) في بوزن بزمان طويل (سنعود الى الخطبة لأنها تشمل مظاهر أخرى في النظام الجديد) وجه زعماء النازي أفكارهم وخططهم لإستعباد شعوب الشرق وإسترقاقها.

ففي ١٥ تشرين الأول ١٩٤٠ قرر هتلر مستقبل الجيوك أول شعبٍ سلافي اخضعه. نصفهم سيتم "إستيعابهم" على الأغلب بنقلهم الى ألمانيا لعمل السخرة، أما النصف الآخر "ولاسيما" المثقفون فهم بالكلمة البسيطة التي تضمنها التقرير السري حول الموضوع "سيبادون"^(٣).

وقبل هذا بأسبوعين (٢ تشرين الأول) بسط الزعيم أفكاره بخصوص مصير البولنديين ثاني شعب سلافي سيخضعه. فقد ترك سكرتيره الأمين (مارتن بورمان) مذكرة مسهبة عن خطط النازي التي رسمها هتلر لـ(هانز فرانك) الحاكم العام لبولندا المبتقية بعد التقطيع ولغيره من الموظفين^(٤).

"بيّن هتلر] سيكون العمل المنحط من نصيب البولنديين... ولن يكون تحسين وضعهم موضوع بحث. ومن الضروري إبقاء مستوى المعيشة في بولندا واطناً وألاً يسمح له بالإرتفاع... البولنديون كسالى وينبغي أن تُستعمل الشدة لإرغامهم... إن الحكومة العمومية [البولندية] لن نستخدمها إلا مصدرراً للأيدي العاملة غير الماهرة... كل سنة، يمكن للرايح أن يتزود من هناك بما يحتاجه من العمال". وأما عن القساوسة البولنديين: "سيعظون ما نريد أن يعظوا به. وإن شذ أحدهم فسنزريحه حالاً عن الطريق. إن مهمة القس هو أن يُبقي البولنديين ساكنين اغبياء بلهاء".

هناك طبقتان أخريان من البولنديين يجب معالجة أمرهما ولم يهمل الدكتاتور النازي أمر التنويه بهما: "مما لا محيص عنه أن نضع نصب أعيننا إبادة أفراد الطبقة العليا البولندية، ومهما بدا الأمر قاسياً فمن الواجب تصفيتهم أينما كانوا... لن يكون للبولنديين إلا سيد واحد هو الألمان. سيدان إثنان جنباً الى جنب أمر لن يكون قط. ولذلك فكل ممثلي الطبقة المثقفة البولندية يجب أن يزالوا من الوجود. الأمر يبدو قاسياً إلا إنه شرعة الحياة".

هذا التشبث الألماني بفكرة كونهم العنصر السيد والشعوب السلافيه عبيداً لهم بلغ حد السم الزعاف في روسيا بصورة خاصة. وأعرب عنه (أريخ كوخ) القومييسار الألماني اللفظ (للأوكرين) في كييف في الخامس من آذار ١٩٤٣.

"نحن العنصر المتفوق وعلينا أن نحكم بشدة لكن بعدل... سأستنزف آخر قطرة من هذه البلاد. لم آت لأنشر الخيرات والبركات... الأهالي يجب ان يشتغلوا ويشتغلوا، ثم يشتغلوا... لاشك أننا لم نأت

٢- مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٤، ص٥٥٩. [وثائق نورمبرگ- ١٩١٩ PS].

٣- المرجع السالف، ج٣، الص ٦١٨-٦١٩ [وثائق نورمبرگ ٨٦٢ PS]. تقرير الجنرال (گوتهارت هاينريشي Gotthard Heinrici، نائب الحاكم العام في المحمية.

٤- مذكرة بورمان وردت في "محاكمات مجرمي الحرب الكبار" ج٧، الص ٢٢٤-٢٢٦ [وثائق نورمبرگ- إتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية- ١٧٢].

هنا لنُنزل المنَ. جئنا هنا لنخلق أسساً للنصر. نحن الشعب السيد الذي يجب أن يتذكر دائماً أن أحط عامل ألماني هو أثنى بايولوجياً وعنصرياً ألف مرة من السكان هنا^(٥)."

وقبل سنة من هذا تقريباً (٢٣ تموز ١٩٤٢) عندما كانت الجيوش الألمانية تحت خطاها نحو القفقاس والقوقاز، كتب (مارتن بورمان) سكرتير الحزب النازي وساعد هتلر الأمين الآن. رسالةً طويلةً الى روزنبرگ ينقل له فيها آراء الزعيم في الموضوع. وقد لخصها موظف في وزارة روزنبرگ: "على السلافة أن يشتغلوا لنا، وإن لم تكن لنا حاجة بهم فلا بأس أن يموتوا. لذلك فليس هناك ضرورة للتلقيح الاجباري والخدمات الصحية الألمانية ولا داعي لها. إن خصوبة نسل السلافة غير مرغوب فيها. ولهم أن يستخدموا وسائل منع الحمل والإجهاض - والزيادة في ذلك خير على خير. التعليم فيه خطورة، ويكفي أن يصلوا بالعدّ الى رقم مائة... وكل شخص مثقف هو عدو الغد. أما الدين فنتركه لهم كوسيلة من وسائل التلهي والانشغال. واما بخصوص الغذاء فلن يحصلوا على أكثر مما هو ضروري جداً، نحن السادة ولنا الأسبقية^(٦)."

عندما دخلت الجيوش الألمانية لم تلقَ أول الأمر في بعض الأماكن صدوداً من الأهلين الذين كان إرهاب ستالين يحثم على صدورهم وذكرت المصادر الألمانية عن كثير من الهروب في صفوف الجيش الأحمر في دول البلطيق التي كانت قد ضُمت إلى الإتحاد السوفييتي قبل زمن وجيز. وفي الأوكرين تحرك بعض خصوم النظام السوفييتي من دعاة الأوكرين المستقلة قبل ثورة أكتوبر وأعلنوا إستعدادهم للتعاون "حتى مع الألمان".

وكانت ثم أقلية ضئيلة في برلين تتوهم ان هتلر لو لعب بحذق وعامل الأهلين بالرفق ووعد بالخلاص من حكم البولشفيك بمنحه الحرية الدينية والإقتصادية وإلغاء المزارع التعاونية (كذا!) واعطائه حق الحكم الذاتي لأمكنه ان يكسب الروس ولن يقتصر الأمر على تعاونهم مع الألمان في البلاد الملحقة، بل ربما إلى إنتفاضات على حكم ستالين الفردي في المناطق غير المحتلة. وراحوا أكثر من ذلك سارحين في خيالهم فقالوا أن النظام البلشفي نفسه قد ينهار ويتمزق الجيش الأحمر كما تمزقت الجيوش القيصرية في ١٩١٧.

إن كان لهذا الإحتمال أي ظل من الحقيقة، فإن همجية الإحتلال النازي والأهداف الواضحة التي وضعها الفاتحون الألمان التي كثيراً ما انكشفت علناً عن نهب لبلاد وإسترقاق شعوبها الساكنة فيها وإستعمار المشرق. جعلت من تلك الخيالات أوهاماً ومن هؤلاء الحاملين المستيقظين نقدم نموذجاً بالدكتور أوتو براوتيجام Dr. Otto Broutigam وهو دبلوماسي محترف ونائب رئيس الدائرة السياسية لوزارة روزنبرگ المستحدثة باسم "الوزارة الخاصة بالأراضي الشرقية المحتلة". فقد سَطَّر خطاباً سرياً مرراً لرؤسائه في ٢٥ تشرين الأول ١٩٤٢، أجمل فيه نتائج سياسة الإرهاب والتدمير التي قضت على

٥- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج٣، الص ٧٩٨-٧٩٩ [وثائق نورمبرگ ١١٣٠ PS].

٦- المرجع السالف، ج٨، ص ٥٣ [وثائق نورمبرگ ٣٦-R].

كل الفرص، وتجراً على وضع النقاط فوق الحروف وتبيان اخطاء النازيين في روسيا.

"وجدنا عند وصولنا الإتحاد السوفيتي شعباً ملّ من حكم ستالين وهو ينتظر بشوق شعارات جديدة لمستقبل أفضل له. وكان من واجب ألمانيا ان تقدم هذه الشعارات إلا انها لم تأت بشيء منها". في الواقع كان يوجد شعار، إلا أن الشعب الروسي سرعان ما كشف القناع عنه.

"وغيريزة الشعوب الشرقية المتوارثة سرعان ما وجد الرجل البسيط أن شعار ألمانيا "التحرر من البلشفية" ليس الأ حجة وتعلة لاستعباد شعوب الشرق بطريقتها الخاصة... وتبين للفلاح والعامل حالاً أن ألمانيا لاتعتبرهم شركاء ذوي حقوق متساوية بل مجرد وسائل لتحقيق أهدافها السياسية والإقتصادية... وبغطرسة لا مثيل لها نبذنا جانباً كل المفاهيم والمعرفة السياسية... صرنا نعامل سكان أراضي الشرق المحتلة معاملة "بيض من الدرجة الثانية" خصصتهم العناية الإلهية ليتخذ منهم عبيداً لألمانيا..." ويذكر الدكتور براوتيجام حدثين آخرين ملاء الروس حقداً على الألمان: المعاملة البربرية لأسرى الحرب السوفييت، وشحن جماعي للروس رجالاً ونساء لعمل السخرة.

"لم يعد سراً على الصديق أو الخصم ان مئات الألوف من أسرى الحرب الروس ماتوا جوعاً أو برداً في معتقلاتنا... ونحن الآن نعاني الصورة الشاذة والحالة الغريبة في وجوب جمع ملايين من العمال من أراضي الشرق المحتلة بعد أن مات أسرى الحرب من فرط الجوع مثل الذباب..."

"في هذا الإنتهاك السافر اللامحدود للبشرية السلاقية ووجدت الوسائل التي تستخدم في (التجنيد) أصولها في احلك فترات التعامل بالرقيق. وافتتح عهد جديد منظم لصيد الرجال. وشحن الناس الى ألمانيا أفواجاً دون إعتبار للسن والصحة...^(٧) إن سياسة الألمان وأعمالهم في روسيا اضرمت في شعوب الشرق نار المقاومة العنيدة".

"ان سياستنا جمعت البولشفيك وسائر المواطنين الآخرين الروس في جبهة موحدة ضدنا والروس هم اليوم يحاربون بشجاعة تفوق حد الوصف وينكران ذات وتضحية لا لشيء أكثر من المحافظة على كرامتهم الإنسانية".

وطلب الدكتور (براوتيجام) في ختام مذكرته ذات الثلاث عشرة صحيفة إجراء تغيير تام في السياسة وقال "يجب أن يفهم الشعب الروسي شيئاً معيناً عن مستقبله"^(٨).

وكان هذا صوتاً تائهاً في القفر النازي. فقد وضع هتلر خطه كما رأينا وقيل مهاجمته روسيا ورسم ما سيحل بالروس وبروسيا (انظر ما سبق). وهو ليس بالرجل الذي يمكن أن ينزل الى رأي ألماني حي أو يغير ما اختطه بمجرد تقديم مذكرة.

٧- لم يكن إهلاك الألوف المؤلفة من أسرى الحرب الروس ولا ممارسة عمل السخرة في الروس، بالأمر الخفية عن الكرملين. فمئذ تشرين الثاني ١٩٤١ اصبح مولوتوف إحتجاجاً رسمياً دبلوماسياً على "قتل أسرى الحرب الروس" وفي نيسان ١٩٤٢، أعلن إحتجاجاً آخر ضد برنامج عمل السخرة التي تمارسه ألمانيا في روسيا.

٨- مذكرة دكتور براوتيجام ٢٥ تشرين الأول ١٩٤٢ النص مثبت في "مؤامرة النازيين وعدوانهم، ج٣، الص ٢٤٢-٢٥١ الأصل الألماني في (محاکمات مجرمي الحرب الكبار، ج٢٥، الص ٣٣١-٣٤٢ [وثائق نورمبرگ ٢٩٤-PS]

في ١٦ تموز ١٩٤١، بعد بدء الحرب الروسية بأقل من شهر - وحين كان متوقعاً من الإنتصارات الأولية أن جزءاً كبيراً من الإتحاد السوفيتي لن يلبث أن يُستولى عليه إستدعى هتلر كلاً من غورنغ وكايتل وروزنبرگ وبورمان ولاميرس Lammers (وهو رئيس شؤون مستشارية الرايخ) الى مقره في بروسيا الشرقية ليذكرهم بأهدافه ونواياه في البلاد المفتوحة حديثاً. ولإجدال في ان هدفه كان معداً من قبل في "كفاحي" وهو الحصول على "مجال حيوي" واسع للألمان في روسيا. وواضح من المذكرة السرية التي كتبها (مارتن بورمان) على أثر الاجتماع (عُرضت في نورمبرگ)^(٩) أن هتلر ما جمع أكبر أَعوانه إلا ليؤكد في أذهانهم ما ينوي عمله بتلك الأراضي. وحذرهم بالأ تنشر آرائه هذه على الملأ بل تبقى سراً. قال: "لا حاجة تدعو الى ذلك (أي العلانية). إلا أن المهم في الأمر أن نكون نحن على علم... وينبغي ألا يستطيع أحد الاستنتاج بأن إجراءاتنا مقدمة الى تسوية نهائية. ولا يمنعنا هذا من إتخاذ كل التدابير الضرورية- الإعدام، التهجير الخ... ولسوف نأخذ بها. واسترسل هتلر يقول: من ناحية المبدأ "علينا الآن أن نباشر بمهمة قطع الكعكة حسب حاجتنا حتى نستطيع:

أولاً: السيطرة عليها.

وثانياً: ادارتها.

وثالثاً: إستغلالها.

وقال أنه لايهتم بأوامر الروس بشن حرب الأنصار خلف الخطوط الألمانية "فهذا ما يساعدنا على استئصال شافة كل من يعارضنا".

وعلى العموم، ستكون سيطرة الألمان على الأراضي الروسية إلى حد جبال الأورال. ولن يسمح لغير الألمان بحمل السلاح في هذه المنطقة الشاسعة من الأرض. وبعد ذلك راح هتلر يفصل ماذا سيُعمل بمختلف أجزاء الكعكة الروسية:

"كل بلاد البلطيق ستدغم في ألمانيا... ويجلى عن القرم كل الأجانب ويسكن الألمان فيها فقط. [لتصبح] من أراضي الرايخ.

... وستأخذ ألمانيا شبه جزيرة كولا Kola بسبب مناجم النيكل الواسعة فيها. أما ضم فنلندا في إتحاد فيدرالي فيجب أن يعالج بحذر... وسيسوي الزعيم ليننجراد بالأرض ثم يسلمها الى الفنلنديين". وقضى هتلر على حقول نفط باكو بأن تكون "إمتيازاً ألمانياً". وان تلحق المستعمرات الألمانية على القولگا بألمانيا حالياً. وعندما بلغت المناقشة مسألة نصب المشرف على إدارة تلك المناطق من بين الزعماء النازيين، نشأ شجار عنيف.

"يقترح روزنبرگ أنه ينوي إستخدام النقيب فون بيترسدورف Von Petersdorff نظراً لكفاءاته الخاصة. إستنكار عام، رفض عام. يبين الزعيم ومارشال الرايخ [غورنغ] أنه ليس ثم شك في جنون

٩- مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج٧، الص ١٠٨٦-١٠٩٣ [وثائق نورمبرگ- ٢٢١ L]

فون (بيترسدراف).

كان هناك أيضاً خلاف حول النجح الوسائل لحفظ الأمن في المناطق المحتلة واقترح هتلر تزويد الشرطة بسيارات مصفحة وابدئ (گورنگ) شكه في ضرورتها وقال "أن طائراته ستقذف قنابلها في حالة حدوث شغب".

"واضاف يقول] بطبيعة الحال يجب أن تُهدأ هذه المنطقة المترامية الشاسعة باسرع مايمكن. وخير حل هو أن يطلق الرصاص على كل من يتطلع يئمة ويسرة مختلساً النظر"^(١٠). ولما كان (گورنگ) مشرفاً عاماً على مشروع السنوات الأربع، فقد انيط به أمر الإستغلال الإقتصادي لروسيا^(١١).

و"التهب" قد يكون أدق تعبير، كما صرح گورنگ في خطاب ألقاه على مدارء إدارة المناطق المحتلة في ٦ آب ١٩٤٢ إذ قال "ينبغي أن يسمى نهياً، إلا أن الأمور اصبحت اليوم أكثر إنسانية، ورغم هذا فأنا عازم على النهب وأن اقوم به بشكل دقيق كاسح"^(١٢). وفي هذا على الأقل- كان أميننا على عهده. ليس في روسيا وحدها بل في سائر أنحاء أوروبا المحتلة. وكل هذا كان جزءاً من النظام الجديد.

- ٢ -

نهب النازيين خيرات أوروبا

ليس بالأمكان معرفة المجموع الكلي للمنهوبات. فهذا العمل فوق طاقة البشر لكن هناك بعض الأرقام وأكثرها من المصادر الألمانية. وهي توضح الدقة الألمانية المأثورة التي جرى بها تطبيق تعليمات گورنگ التي صدرها لمرؤوسيه حتى ينفذوها. "كلما وقعتم على أي شيء فيه فائدة للشعب الألماني فانقضوا عليه مثل كلاب الصيد... يجب أن يصادر... ويؤتى به الى ألمانيا"^(١٣).

صودر الكثير جداً: بضائع وأثاث ومصانع، فضلاً عن الذهب والأوراق المالية. كلما احتل هتلر بلداً

١٠- قبلها بسنة. والشيء بالشيء يذكر- قال گورنگ لتشيانو "في هذه السنة ربما سيموت في روسيا عدد يتراوح بين عشرين وثلاثين مليون نفس بسبب "الجوع" وربما كان من الخير أن يحدث ذلك" وقال ايضاً "ان أسرى الحرب الروس يأكل الآن بعضهم بعضاً".

١١- في التعليمات التي أصدرتها دائرة گورنگ الإقتصادية بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٤١ صدر الأمر بتدمير المناطق الصناعية الروسية. وبتترك العمال وأسره في تلك المناطق يموتون جوعاً. وجاء في التعليمات ايضاً "كل محاولة لأنقاذ الاهلين هناك من الموت جوعاً باستيراد [الاغذية] الفائضة من منطقة التربة السوداء [الروسية] ممنوعة منعاً باتاً.

١٢- "محاكمات مجرمي الحرب الكبار، ج ٩، ص ٦٣٣.

١٣- المرجع السالف، ص ٦٣٤.

إندفع وكلاؤه المليون لوضع يديهم على رصيد الذهب والعملة الأجنبية في المصارف الحكومية. وهي البداية ليس إلا. بلغت "نفقات الإحتلال" أرقاماً مذهلة واستحصلت منذ قيام الإحتلال مباشرة. وفي نهاية شباط ١٩٤٤. أعلن الكونت (شرفين فون كروسيك) وزير المالية النازي أن المجموع الكلي الوارد عن هذه المصادر بلغ زهاء ٤٨ بليون مارك (١٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار) تقريباً. وأعظم عمليات النهب والإبتزاز جرى بفرنسا كانت حصتها فيه أكثر من النصف. وبنهاية الحرب بلغ مجموع دخل ألمانيا من نفقات الإحتلال ما يناهز (٦٠) بليون مارك أي ما يعادل (١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار).

أرغمت فرنسا على دفع (٣١, ٥) بليوناً من هذا المبلغ وكانت الفريضة السنوية (٧) بلايين وهي تعادل أربعة اضعاف مجموع المبالغ السنوية التي كانت ألمانيا قد دفعتها لفرنسا بمثابة تعويضات بموجب مشروع (داوز- ويونك) بعد الحرب العالمية الأولى- وهي غرامة الحرب التي كان هتلر يراها جريمة شنعاء، زد على هذا أن بنك فرنسا أرغم على فتح "إعتمادات" لألمانيا بلغت أربعة بلايين ونصف بليون مارك. وان تدفع نصف بليون آخر "غرامات". وقُدّر في نورمبرغ أن ألمانيا ابتزت ثلثي الدخل القومي البلجيكي على شكل نفقات إحتلال "وإعتمادات" وسلبت هولندا مبالغاً مماثلاً. وقدرت دراسة قامت بها دائرة مسح القصف الاستراتيجي الأمريكية أن الألمان سلبوا من البلاد المحتلة على شكل غرامات وضرائب ما ناهز مجموعه الكلي (١٠٤) بلايين مارك (يعادل ٢٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار)^(١٤). إلا أن المستلكات التي صودرت ونقلت الى الرايخ دون شكليات دفع الثمن لا يمكن تقديرها مطلقاً. فقد راحت الأرقام تنصب على نورمبرغ حتى تاهت بها العقول. ولكن لم يتصدّ - على حد علمي- أحد من خبراء المال لتنسيقها وإستخراج المجموع العام منها. ففي فرنسا مثلاً قدر أن الألمان نقلوا ("كنوع ما من غرامة") تسعة ملايين طن من القمح و٧٥٪ بالمائة من محصول الشعير الكلي و٨٠٪ من الزيت و٧٤٪ من الحديد وعلى هذا فقس... بما بلغ ثمنه (١٨٤, ٥) بليون فرنك.

وروسيا التي خربتها الحرب والهمجية الألمانية. كانت أصعب إحتلاباً. والوثائق النازية ملأى بالتقارير عن (المدفوعات) السوفيتية. وفي ١٩٤٣ مثلاً سجل الألمان من بين "المدفوعات" تسعة ملايين طن من القمح ومليوناً طن من العلف. وثلاثة ملايين طن من البطاطا و٦٦٢٠٠٠ طن من اللحوم. وازافت الى هذا الرقم لجنة التحقيق السوفيتية عن طول فترة الإحتلال تسعة ملايين رأس من الماشية (الأبقار) وثلاثة عشر مليون رأس غنم وثلاثة عشر مليون خنزيراً خالفاً لبعض المواد الأخرى. إلا أن المدفوعات الروسية كانت أقل من المتوقع بكثير. وقد قدرها الألمان بمبلغ كلي صاف يناهز (٤) بلايين مارك أي (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار)^(١٥). واعتصر النازيون الفاتحون الجشعون من بولندا كل ما

١٤- بسعر النقد الرسمي (كل ماركين ونصف المارك يعدل دولاراً واحداً) ويكون المبلغ (٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) دولار. إلا أنني استخدمت السعر غير الرسمي، أي أن الدولار الواحد يعادل أربعة ماركات ألمانية. لأن إتخاذ سعر القوة الشرائية للنقد مقياساً هو أكثر دقة.

١٥- جاء في دراسة الكساندر دالين Alexander Dallin المفصلة [الحكم الألماني في روسيا] ان ألمانيا كانت تستطيع الحصول على أكثر من هذا في ميدان التجارة الإعتيادية.

امكنهم إعتصاره. قال الدكتور فرانك الحاكم العام "سأعمل جهدي على أن اعتصر من هذا الأقليم كل شيء يمكن اعتصاره" وكان ذلك في ١٩٤٢ وفي غضون ثلاث سنين منذ الإحتلال احتلب هذا الرجل كما فخر دوماً - الكثير وبخاصة الاغذية لإطعام الألمان الجائعين في الرايخ لكنه حذر بقوله "عند تطبيق مشروع التغذية الجديد في ١٩٤٢ سيبقى نصف مليون شخص في وارشو وضواحيها فحسب، دون طعام^(١٦).

ووضحت طبيعة النظام الجديد في بولندا حالما تم الإستيلاء عليها. ففي ٣ تشرين الثاني ١٩٣٩ أبلغ (فرانك) الجيش بأوامر هتلر: "لا يمكن إدارة بولندا إلا بإبتراز البلاد بوسائل الاستغلال القاسية، وينقل كل الأغذية الأولية والمكائن ومنشآت المصانع وكل ما هو مفيد لمجهود الألمان الحربي وتأمين حاجة ألمانيا من العمال وتقليص الإقتصاد البولندي القومي كافة الى الحد الأدنى الذي يسدّ الرمق وعلق كل المعاهد الدراسية، ولاسيما المعاهد التكنولوجية والكليات لكيلا تخرج طبقة مثقفين جديدة في بولندا. يجب أن تُعامل بولندا معاملة المستعمرات وسيكون البولنديون عبيداً للرايخ الألماني الأكبر^(١٧)".

وأضاف (رودولف هس) نائب الزعيم النازي أن هتلر قرر "أن لا يُعاد بناء وارشو مرة أخرى. وليس في نية الزعيم أن يعيد بناء أي صناعة أو يقيم أي معمل في الحكومة العمومية^(١٨).

وأصدر الدكتور فرانك مرسوماً يقضي أن تكون ممتلكات البولنديين واليهود في بولندا عرضة للإستيلاء بدون تعويض. وبمقتضى هذا إنتزعت مئات الألوف من المزارع البولندية الخاصة وأعطيت للمستعمرين الألمان الجدد عنوة وإقتداراً. وبحلول ٣١ أيار ١٩٤٣ تمّ وضع اليد في الأقاليم البولندية الملحقة بألمانيا (پروسيا الغربية وبوزن وزنگناو Zichnau وسيليزيا) على سبعمئة ألف مزرعة تبلغ مساحتها خمسة عشر مليون (إيكر). و"صودرت تسعة آلاف وخمسائة مزرعة بلغ مجموع مساحتها ستة ملايين ونصف مليون (إيكر)". وظل فيصل التفرقة غامضاً غير مفسر بين مصطلحي "وضع اليد" وبين" المصادرة. في اللاتحة المفصلة التي أعدتها "دائرة الأراضي الزراعية المركزية"^(١٨).

حتى كنوز الفن في البلاد المحتلة، لم تسلم من النهب. وقد جرى ذلك بناءً على أوامر هتلر وگورننگ الصريحة، كما أباتت فيما بعد وثائق النازيين المستولى عليها. وبذلك انميا وأكتملا مجموعيتيهما "الخاصتين". وقدّر المارشال السمين أن مجموعته الفنية أصبحت تسوى خمسين مليون مارك. والحقيقة هي أن گورننگ كان المحرك الأكبر لفتح هذا الميدان الخاص في النهب، وقد أصدر بعد فتح بولندا مباشرة أوامره بوضع اليد على نفائس الآثار الفنية هناك. ولم تمر ستة أشهر حتى تسنى للمندوب الخاص المعين لتنفيذ أوامره بهذا الشأن ان يكتب في تقريره أنه تمكن من الإستيلاء على كل

١٦- محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٨ ص ٩.

١٧- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٧ الص ٤٢٠-٤٢١ [وثائق نورمبرگ ٣٤٤-EC-١٦ و ١٧].

١٨- المرجع السالف ص ٤٦٩ و ج ٨ الص ٦٦-٧٦ [وثائق نورمبرگ- EC ٤١١ و ٩٢].

نفائس آثار تلك البلاد تقريباً.^(١٩)

ألا أن فرنسا كانت كعبة الآثار الفنية الأوروبية وكنزها الأكبر، فما أن أضيف إسم هذه البلاد الى قائمة الشعوب المقهورة، حتى أعلن هتلر وگورنگ وضع أيديهما على تلك الكنوز. وإتمام عملية السلب عين الزعيم روزنبرگ مشرفاً، فأنشأ دائرة أطلق عليها (اينساتزشتاب- روزنبرگ Einsatzstab R-) وأعانته في مهمته گورنگ وكايتل. فقد أصدر هذا الأخير أمراً الى قيادة الجيش المحتل في فرنسا، يشير فيه الى أن روزنبرگ مخول بنقل الأشياء الثقافية التي يقدرها وان تكون في حيازته حتى تنقل الى ألمانيا. وقد احتفظ الزعيم لنفسه بحق تقرير أمرها^(٢٠). وإتضح معنى قرار الزعيم بشأنها في أمر سري أصدره گورنگ في ٥ تشرين الثاني عين فيه شكل توزيع تلك التحف الفنية المنهوبة من متحف اللوفر بپاريس، قال: "ستوزع... على الشكل التالي:

(١) تلك التي كان الزعيم قد احتفظ لنفسه بحق تقرير أمرها (٢) تلك.. التي ستكمل مجموعة مارشال الرايخ (گورنگ) (٣) تلك التي... سترسل الى المتاحف الألمانية^(٢١)."

إحتجت الحكومة الفرنسية على نهب كنوز البلاد الفنية، وأوضحت ان هذا العمل يعد خرقاً وإنتهاكاً لمعاهدة لاهاي. وإجتراً لهر (بونيس Bunjes) أحد العاملين في دائرة روزنبرگ، على تنبيه گورنگ الى هذه النقطة. فأجابه المارشال البدين:

- أي عزيزي (بونيس) دع الأمر لي. اني أعلى قاض في الدولة وأوامري نهائية. وعليك ان تقوم بتنفيذها.

وظهر (بونيس) هذا مرة واحدة في تاريخ الرايخ عندما رفع تقريره بهذا الشأن "تلك الآثار الفنية التي جمعت في (يودي يوم Jeude Paume) وسترسل الى الزعيم، وتلك التي إختارها مارشال الرايخ لنفسه ستشحن في عربتين تربطان بقطار المارشال الخاص... الى برلين^(٢٢). وشحن عربات أخرى كثيرة. وآخر تقرير يفيد أن حوالى (١٣٧) سيارة نقل محملة بـ(٤١٧٤) صندوقاً من التحف يضم (٢١٩٠٣) قطعة منها (١٠٨٩٠) لوحة زيتية كلها وصلت الى برلين من الغرب لغاية تموز ١٩٤٤^(٢٣). وتشمل آثاراً لمشاهير الرسامين ومنهم گويا Goya ورامبراندت Rambrandt وروينز Ru-bens وهال Hals، وفيرمير Vermeer وفيلاسكويز Velazquez وموريللو Murillo وفيكيو Vecchio وواتو Watteau وفراگونار Fragonard ورينولدز Reynolds وگينزبورو Gainsborough. وفي كانون الثاني ١٩٤١ قدر روزنبرگ الغنائم الفنية التي نهبت من فرنسا الى حد ذلك التاريخ بما يبلغ ثمنه بليون مارك^(٢٤).

١٩- المرجع السالف ج ٣ ص ٨٥٠ [وثائق نورمبرگ ١٢٣٣ - PS].

٢٠- المرجع السالف ص ١٨٦ [وثائق نورمبرگ ١٣٨ PS].

٢١- المرجع السالف الص ١٨٨-١٨٩ [وثائق نورمبرگ ١٤١ PS].

٢٢- المرجع السالف ج ٥ الص ٢٥٨-٢٦٢ [وثائق نورمبرگ ٢٥٢٣ p s].

٢٣- المرجع السالف ج ٣ الص ٦٦٦-٦٧٠ [وثائق نورمبرگ ١٠١٥ ب- PS].

٢٤- المرجع السالف ج ٨ ص ١١٠٥ [وثائق نورمبرگ- ٩٠ PS].

ربما أمكن الصفح عن نهب المواد الأولية والبضائع والغذاء وإن أوصلت الشعوب المحتلة الى الفاقة والمسغبة حتى التضور جوعاً وخرق إتفاقية لاهاي في الحرب ربما امكن الصفح عن مرتكبيها الألمان، إن لم يكن تبريرها بضرورات الحرب الجماعية القاسية. إلا أن سرقة نفائس الفن لم تساعد ماكنة الحرب الهتلرية. إنها مجرد جشع وشهوة شخصية في هتلر وگورنگ ليس إلا.

كل السلب والنهب الذي جرى للشعوب المغلوبة محتمل- فالحرب والإحتلال الأجنبي يعقبان الفاقة والحرمان حتماً. إلا أن هذا جزء فقط من النظام الجديد، بل أخف جزء منه. ولكن لن يذكر "النظام الجديد" القصير العمر "لحسن الحظ" ذكراً طويلاً بسبب سلب المال والمقتنى بل بسبب الأرواح. فهنا هبطت الحطة النازية الى أسفل درك شهدته البشرية منذ أن وجدت على سطح الكرة الأرضية. سيق ملايين من الرجال والنساء الأظهار الأبرياء الى عمل السخرة، وعذب ملايين آخرون جسدياً ونفسانياً في معسكرات الإعتقال، وملايين من هؤلاء (منهم أربعة ملايين ونصف مليون يهودي) قتلوا عمداً، أو تركوا يموتون جوعاً وأحرقت جثثهم لإزالة آثار الجريمة.

قصة الهول التي لا تُصدق وقعت فعلاً، وما كان لأحد من البشر أن يصدقها لو لم تثبت بالوثائق والحجج الدامغة وبشهادات الذين ساهموا بمجازرها أنفسهم. وما سنذكره هنا منها ليس إلا مجملًا مختصراً سأسقط منه آلاف الحوادث التفصيلية لضيق المقام- مستخلصاً المأساة من أدلة لا يتطرق الشك اليها، مدعمةً بين آن وآخر براويات شهود عيان ممن كُتبت لهم النجاة وهم قلة.

- ٣ -

عمل السخرة في "النظام الجديد"

بمجيء ١٩٤٤ كان يوجد في الرايخ الثالث زهاء سبعة ملايين ونصف مليون مدني أجنبي يكاد يكون كلهم ممن جُمع بالقوة ونُقل الى ألمانيا في سيارات مقفلة في العادة دون طعام أو ماء أو أي تدابير صحية، وهناك دُفعوا الى العمل في المصانع والمزارع والمناجم، ولم يكتف منهم بذلك بل أهينوا وضربوا وجاعوا، وكثيراً ما تركوا ليموتوا بسبب نفاذ الطعام وعدم وجود كساء وملجأ. وأضيف الى هذا العدد مليونان من أسرى الحرب، وضع ما لا يقل عن نصف مليون منهم في مصانع الذخيرة والسلاح وهو خرق فاضح صريح لإتفاقيات لاهاي وجنيف التي تحرم إستخدام أسرى الحرب في مثل هذه الأعمال^(٢٥).

وهذا الرقم لا يشمل مئات الألوف من أسرى الحرب الذين أرغموا بالقوة على بناء التحصينات وحمل

٢٥- أقرّ البرت شبيير Albert Speer وزير التسليح والإنتاج الحربي في محاكمة نورمبرگ بأن ٤٠٪ من كل مجموع أسرى الحرب كان يستخدمون في ١٩٤٤ في إنتاج الأسلحة والعتاد وما إليها من الصناعات الحربية (مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ ص: ٤٥٦ [وثائق نورمبرگ ١٧٢٠ ps]).

الذخائر إلى خطوط النار، بل حتى على ملء المدافع المضادة للطائرات، وهو خرق آخر للإتفاقيات الدولية التي كانت ألمانيا إحدى الموقعات عليها^(٢٦).

في الشحن الإجماعي لعمال السخرة الى الرايخ كانت الزوجات ينتزَعن من أزواجهن والأطفال من آبائهم ويُدفع بهم الى أجزاء أخرى من ألمانيا. ولم يكن يُعفى الأحداث من العمل إن بلغوا سنّ القدرة. وإشتغل في خطف الصبيان حتى جنرالات الجيش الكبار، وكانوا يوضعون في شاحنات ويُنقلون إلى ألمانيا لتأدية أعمال السخرة. وهناك تقرير من ملفات روزنبرگ مؤرخ ١٢ حزيران ١٩٤٤ يفضح هذا العمل في روسيا المحتلة: "جُفِل جيش الوسط، ينوي أن يجمع ما يتراوح بين أربعين الى خمسين ألف صبي تتفاوت اعمارهم بين العاشرة والرابعة عشرة... وينقلهم الى الرايخ... وهذا التدبير إقترحه الجيش التاسع بالأصل... والنية متجهة إلى توزيع هؤلاء الأحداث بالدرجة الأولى - على الحرف والصناعات اليدوية الألمانية كمساعدين... لقد رحبت الصناعة بهذا الإقتراح ترحيباً حاراً، لأنه إجراء حاسم لحل مشكلة قلة الصناع المساعدين. وليس القصد من هذا العمل منع العدو من الاستفادة بتعزيز قواه منهم لا غير بل لتقليل كفاءته في التناسل." وكان لعملية الإختطاف هذه، إسم رمزي هو "عملية القش". وتقول المذكورة أن مجموعة جيوش الأوكرين الشمالية - بقيادة الفيلدمارشال مودل Model قد نفذتها^(٢٧).

واستُخدم الإرهاب المتزايد لجمع الفرائس. في مبدأ الأمر كانت الوسائل المستعملة بسيطة. فمثلاً يُقبض على الناس حين خروجهم من البيع أو دور السينما. وفي الغرب بصورة خاصة كان الحرس الأسود يسد منافذ من البلدة ويلقي القبض على الرجال والنساء القادرين على العمل. وكانوا يطوقون القرى ويدخلون بيوتها بحثاً عن ذلك. وفي المشرق عندما يلاقون مقاومة وإباءً لأوامر أعمال السخرة، يعمدون الى حرق القرية وشحن ساكنيها. وقد إمتلأت ملفات روزنبرگ المستولى عليها بتقارير ألمانية عن هذه الحوادث. وفي بولندا وجد موظف ألماني واحد على الأقل أن الأمور خرجت عن الحد كثيراً.

"كتب الى الحاكم فرانك [إن صيد البشر القاسي الهمجي كما ينفذ في كل مكان: في المدن والريف والشوارع والميادين والمحطات حتى في البيع ولبساً في المنازل قد حطم الأعصاب وسلب مشاعر الطمأنينة من الأهلين كل امرءٍ معرض لخطر القبض في أي مكان وزمان فجأة وبشكل غير متوقع، أو أن يرسل الى معسكر تجميع ولا أحد من ذوي قرياه يعرف ماذا حل به^(٢٨).

إلا أن مطاردة عمال السخرة كانت الخطوة الأولى ليس إلا^(٢٩). وكان نقلهم إلى ألمانيا يجري

٢٦- السجل المستولى عليه يكشف ان الفيلدمارشال (ميلش) من القوة الجوية طلب في ١٩٤٣ خمسين الف أسير روسي آخر مضافاً الى الثلاثين الفاً الأولى، التي كانت تستخدم لإملاء المدافع المضادة للطائرات. وضحك (ميلش) قائلاً "ما أطرف ذلك! الروس يديرون المدافع!" [المرجع السالف ج ٨ ص ١٦٨ [الوثائق ١٢٤ R].

٢٧- المرجع السالف ج ٣ الص ٧١-٧٣ [وثائق نورمبرگ ٣١-PS].

٢٨- المرجع السالف ج ٤ ص ٨٠ [وثائق نورمبرگ ١٥٢٦-PS].

٢٩- أوكل تنفيذ برنامج عمل السخرة بكامله الى فريتز ساوكل Frity Sauckel، الذي مُنح عنوان "المفوض العام" =

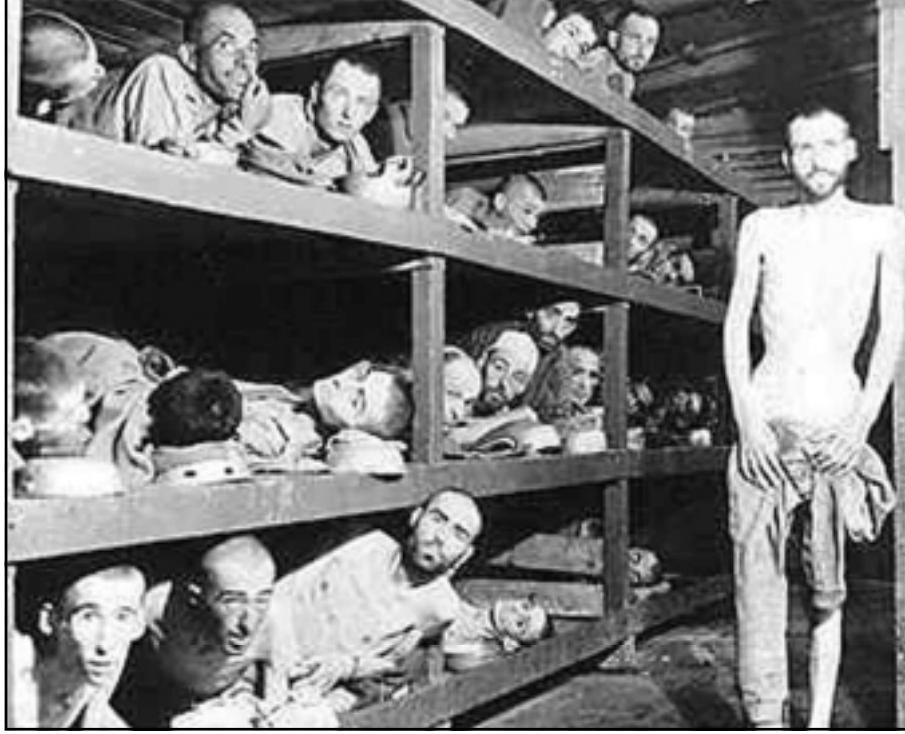
بشكل تعافه النفس ويقشعر منه البدن. وقد وصف من يدعى بالدكتور (گوتكلخ Dr Gutkelch) مناسبة واحدة في تقرير لوزارة روزنبرگ مؤرخ ٣٠ أيلول ١٩٤٢، يروي فيه كيف ان قطاراً مكديساً بعمالٍ شرقيين "إستنفدت قواهم" وهم يعادون من محلات عملهم. فإلتقى في إحدى محطات الوقوف بقطار آخر مملوء بعمال روس "مجندين حديثاً" يقلهم الى ألمانيا. وجرى ذلك اللقاء بالقرب من (برست ليتوفسك): "كان من المحتمل أن تحدث نكبة بسبب الجثث في القطار المملوء بالعمال العائدين... في هذا القطار كانت نسوة قد وضعت أجنتهن ثم قذفنها من النوافذ الى الخارج أثناء الرحلة. وثم اشخاص مصدورون ومصابون بأمراض تناسلية يركبون في العربة نفسها. والمحترضون يلفظون انفاسهم الأخيرة وهم مستلقون في قاع عربات الشحن بدون وطاءٍ وألقي بجثة أحد الموتى على رصيف السكة- لاشك أن مثل هذا قد حصل في قطارات أخرى عائدة^(٣٠).

لم يكن هذا وجهاً جميلاً للرايخ الثالث في نظر العامل الشرقي Osterbeiter، ألا أنه كان عامل إعداد وتهيئة على الأقل للأهوال التي تنتظرهم. الجوع والضرب والمرض والتعرض للبرد في مساكن غير دافئة بأعمالهم الرقيقة هذا ما ينتظرهم. دعك من ساعات العمل الكثيرة التي لا يحددها إلا مقدرتهم على الوقوف.

كانت مصانع (كروب) حيث تصنع مدافع ألمانيا ودباباتها وعتادها مَحلاً نموذجياً للعمل. شغل كروب عدداً كبيراً من عمال السخرة من ضمنهم أسرى حرب روس. وفي فترة من فترات الحرب. جيء بستمائة امرأة يهودية من معسكر إعتقال (بوخناللد) ليشتغلن في تلك المصانع. "فوضعن" في مخيم عملٍ مقصوف بالقنابل نُقل عنه قاطنوه أسرى الحرب الإيطاليين. وقد وصف الدكتور قلهلم يايغر Dr Wilhelm Jaeger "الطبيب الأقدم" لأرقاء كروب ماذا رأى عندما تسلم مهام وظيفته هناك، بشهادة موثقة باليمين في نورمبرگ: "في أول زيارة لي وجدت هاته النسوة يعانين من جروح مفتوحة متقيحة وغيرها من الأمراض. وكنت أول طبيب يزورهن منذ أسبوعين على اقل تقدير... ولم يكن ثم مواد طبية... ليس في أرجلهن أحذية وهن يسرن عاربات الأقدام. والثوب الوحيد الذي يكسو بدن كل واحدة منهن هو غرارة فتحت فيها فتحات للرأس والأيدي وشعورهن مخلوقة. والمخيم يحيط به سياج من الاسلاك الشائكة ويحرسه رجال من الإس. إس حراسة مشددة. كمية

= المطلق الصلاحية لتوزيع العمل. كان من النازيين الثانويين في الزعامة، وگاولاتيراً لمقاطعة (ثورينجيا) وحاكماً عاماً لها. رجل قمى ذو عينين ضيفين خشن، فظ قال عنه گوبلر في يومياته "أنه أغبي الاغبياء". وفي قفص الإتهام بمحكمة نورمبرگ وجدته شخصياً نكرة، لا يميزه شيء. ووضعته في صنف أولئك الألمان الذين قد يكونون في أي وقت كسبية بسطاء، وقد يكون هذا في ظرف آخر قصاباً في سوق لحم بلدة صغيرة لا غير. ومن الأوامر الأولى التي أصدرها بعد تعيينه وجوب معاملة "العمال الأجانب بشكل يضمن إستنزاف أقصى حد من طاقاتهم بأقل ما يمكن من النفقات" [المرجع السالف ج ٣ ص ٥٧ [وثائق نورمبرگ ١٦-PS]. وقد إعترف في نورمبرگ بأنه لم يقبل على العمل طوعاً أكثر من مائتي ألف من كل العمال الأجانب. وانكر أي مسؤولية له في سوء معاملتهم. إلا أنه وجد مذنباً وحكم بالموت وشُق في سجن نورمبرگ في ليلة ١٦/١٥ تشرين الأول ١٩٤٦.

٣- المرجع السالف ج ٣ ص ١٤٤ [وثائق نورمبرگ ٨٤٠ PS].



في معسكرات الإعتقال النازية

الطعام في المخيم قليلة إلى درجة لا توصف ومن صنف ردي للغاية. ولا يدخل المرء الثكنات إلا وتستقبله أسراب الذباب... وامتلاً ذراعيّ وسائر جسمي ببثور كبيرة. نتيجة العدوى منهن..."

وأبلغ الدكتور يايجر بالحالة مدراء إدارة (كروپ)، بل تحدث مع الطبيب الخاص لـ(غوستاف كروب فون بوهلن وهلباخ) مالك المصانع وعبثاً حاول. ولم تحدث تقاريره عن المخيمات الأخرى أيّ تغيير أو أثر. وتذكر في شهادته ما كتبه في تلك التقارير عن حالة ثمانية مخيمات يشغلها العمال الروس والبولنديون: الإحتشاد والضيق الذي يوئد المرض، عدم وجود طعام كاف لسد الرمق والبقاء. نزرة الماء، عدم وجود مرافق صحية. "كانت كسوة العمال الشرقيين أيضاً غير كافية بالمرة. ويشتغلون وينامون بالثياب التي جاؤوا بها من بلادهم وهم جميعاً لا يملكون معاطف، فيضطرون الى إستخدام بطانياتهم بهذه المثابة وقاءً في المناخ البارد والمطر. ونظراً إلى قلة وجود الأحذية، فكثير العمال مرغمون على الذهاب الى عملهم بأقدام عارية. حتى في أيام الشتاء..."

"أما الأحوال الصحية فهي فظيعة همجية وفي مخيم (كرامر بلاتز Kramer Platz) لم يكن يوجد أكثر من عشرة مراحيض للأطفال حُصصت لألف ومائتين من النزلاء الرجال... وكان البول والحرقى يغطي كل أرضياتها... وأكثر من يقاسي من ذلك التتر والقرغيز، فهم يموتون كالذباب (من جراء) سوء السكن وقلة الطعام وإفتقاره الى المواد المغذية الضرورية ولكنرة العمل وقلة الراحة.

"هؤلاء العمال مصابون أيضاً بالحمى المناوية والقمل الذي ينقل هذا المرض الى جانب ما لا يحصى من الذباب والبق وغيرها من الهوام بما يعذب الساكنين في تلك المخيمات... ويُقطع الماء عنهم أحيانا لفترات تتراوح بين ثمانية أيام وأسبوعين...

وحالة العمال الغربيين على العموم أفضل من حالة العمال الشرقيين، فهؤلاء الأخيرون لا يعتبرهم الألمان بشراً، إلا أن الفرق نسبي لا أكثر كما وجد الدكتور (يايغر) في أحد مخيمات عمال كروپ، التي اشغلها أسرى الحرب الفرنسيين في نوغرات شتراسه No-gerratstrasse قرب (إيسن) "أبقي نزلاؤه حوالي نصف سنة في بيوت الكلاب والمباول والمخابز القديمة. وبيوت الكلاب هذه إرتفاعها ثلاث أقدام وطولها تسع وعرضها ست. ويحشر فيها خمسة رجال ويضطر الأسرى الى الزحف على أربع لدخولها... وليس في المخيم ماء...".^(٣١)

وسُخّر زهاء مليونين ونصف مليون عامل رقيق- معظمهم من الروس والإيطاليين- للعمل في المزارع والحقول الألمانية. ومع أن عيشتهم بحكم الظروف التي يحيونها كانت أفضل من عيشة زملائهم في مصانع المدينة. إلا أنها سيئة الى حد كبير- مجردة من الإنسانية. وقد استُولي على لائحة تعليمات حول "معاملة العمال الزراعيين البولنديين" ومنه يتضح شكل تلك المعاملة. ومع انها

٣١- الى جانب إستخدام شركة كروپ آلافاً من عمال السخرة مدنيين وأسرى حرب للعمل في مصانعها المختلفة في ألمانيا، فإنها بنت معملاً كبيراً للصمامات الكهربائية في معسكر الموت في (أوشويتز)، حيث كان اليهود تستنزف قواهم الجسدية بالعمل المرهق حتى إذا سقطوا إعياءً حُنفوا بالغاز السام. وجّه للبارون غوستاف كروپ فون بوهلن وهلباخ المدير الأعلى لمجلس الإدارة العام الإتهام في نورمبرك واحيل للمحاكمة كأحد مجرمي الحرب الكبار مع (گورنك) ورفاقه، لكنه لم يقدم الى المحاكمة بسبب "سوء حالته الصحية والعقلية" إذا اصيب بنازلة وأدركه الحرف] ووفاه الأجل في ١٦ كانون الثاني ١٩٥٠. وبذل الإدعاء العام مجهوداً لتقديم إبنه (الفريد) للمحكمة بدلاً عنه، لأن ملكية معامل الشركة إنتقلت اليه في ١٩٤٣، لكن المحكمة رفضت الطلب. وفيما بعد قدّم (الفريد كروپ) الى محكمة عسكرية في نورمبرك (أمريكية صرفة) مع تسعة من مدراء شركاته في (قضية الولايات المتحدة ضد الفريد كروپ ورفاقه) وفي ٣١ تموز ١٩٤٨ أصدرت علبية حكما بالسجن لمدة اثنتى عشرة سنة وبمصادرة كل ممتلكاته. لكن أطلق سراحه من سجن لاندسبرك (حيث قضى هتلر مدة سجنه سنة ١٩٢٤) بتاريخ ٤ شباط ١٩٥١ بموجب مرسوم العفو العام، الذي أصدره المندوب السامي الأمريكي (جون. جي ماكلوي)، ولم يكتف بالغاء قرار مصادرة ممتلكاته في شركاته وإنما اعيدت اليه ثروته الشخصية وتبلغ عشرة ملايين دولار. كانت حكومات الحلفاء قد أمرت بتفتيت إمبراطورية كروپ الصناعية الواسعة، إلا أن (الفريد كروپ) تسلم الإدارة الفعلية للشركة بعد إطلاق سراحه من السجن، وأفلح في إلقاء أمر حل الشركات. وفي وقت كتابة هذه السطور (١٩٥٩) أعلن بموافقة حكومة بون أنه لن يصفى أعماله بل سيتولى إنشاء صناعات جديدة.

كانت مخصصة للبولنديين وحدهم (تاريخها ٦ آذار ١٩٤١ أي قبل أن يتيسر الروس) إلا أنها استخدمت كدليل فيما بعد الى معاملة الآخرين من جنسيات مختلفة.

"عمال الزراعة البولنديو الجنسية، لايحق لهم رفع شكوى ولذلك لاتقبل منهم أية شكوى الى أي مرجع رسمي... الذهاب الى الكنائس ممنوع منعاً باتاً... إرتياد المسارح والسينمات أو أي اماكن لهو ثقافية ممنوع منعاً باتاً... الصلات الجنسية مع النساء والفتيات ممنوع منعاً باتاً". وإن كانت الصلة الجنسية مع أنثى ألمانية فالعقوبة هي الموت. بحسب مرسوم أصدره هملر في ١٩٤٢^(٣٢). وإستخدام "القطارات والباصات وغيرها من وسائل النقل العمومية" محظور على عمال السخرة الزراعيين. ويظهر أن هذا الإجراء إتخذ ليحول دون هروبهم من المزارع التي ارتبطوا بها.

"و [وجاء في التعليمات]... التغيير الكيفي لمحل العمل ممنوع منعاً باتاً. وعلى العمال الزراعيين ان يشتغلوا طالما شاء رب العمل منهم. وليس هناك وقت محدود لساعات العمل أو اوقاته... لرب العمل الحق في فرض عقوبة الجلد على مستخدميه العمال الزراعيين... ومن المستحسن ان أمكن أن يعزلوا عن الأحياء المنزلية، ولا بأس أن يسكنوا في الاسطبلات وغيرها. ويجب ألا تقف العاطفة أو تبيكت الضمير حائلاً دون هذا العمل^(٣٣). حتى النساء السلاقيات، فقد كنَّ عرضة للقبض والشحن الى ألمانيا للقيام بالأعمال المنزلية ومعاملتهم كرقبكات. ومنذ ١٩٤٢ كان هتلر قد أمر (ساوكل) بأن يجمع قرابة نصف مليون منهم حتى يحملن عن عاتق الزوج الألمانية أعباء بيتها". وقد وضع (قوميسار) عمل السخرة شروط العمل في منازل الألمان: "ليس هناك حق بطلب وقت للراحة. يمكن لعمال البيت الشرقيات أن يتركن المنازل ليقمن بمهام تتعلق بأعمالهن... ويحظر عليهن دخول السينمات وغشيان المطاعم والمسارح وما إليها من الأماكن. الذهاب الى الكنيسة ممنوع أيضاً."^(٣٤)

لاتقل حاجة مشروع عمل السخرة النازي الى النساء عنها الى الرجال. فمن بين ثلاثة ملايين مدني روسي نقلوا جبراً للعمل في ألمانيا، زهاء نصف مليون امرأة ومعظمهن إستخدمن في أعمال زراعية ثقيلة وفي المعامل الصناعية.

ولم يكن إسترقاق الملايين من الرجال والنساء من البلاد المحتلة ككادحين أدنياً للرايخ الثالث ضرورة حتمتها ظروف الحرب. فمن تصريحات هتلر وگورنك وهملر وغيرهم مما أتينا الى ذكره (وهي

٣٢- إن تعليمات هملر المؤرخة ٢٠ شباط ١٩٤٢ كانت موجهة بصورة خاصة إلى عمال السخرة الروس، ونصت على معاملتهم "معاملة خاصة" وكذلك "بسبب خرقهم الفاضح للنظام وبضمنه رفض العمل أو التباطؤ فيه" ففي هذه الأحوال:- "يرجى ان تكون "المعاملة الخاصة". والمعاملة الخاصة هي الشنق. ويجب ألا يُنفذ ذلك في المخيم أو بالقرب منه. وعلى كل حال من اللازم ان يحضر التنفيذ عدد معين" [المرجع السالف ج ٥ ص ٧٤٤-٧٥٤ وثائق نورمبرگ-٣٠٤٠ PS]. إن اصطلاح "المعاملة الخاصة" كثير التردد في ملفات هملر، وكناية معروفة عند النازيين أثناء الحرب. وهو بالضبط يعني ماقصده هملر في تعليماته هذه.

٣٣- المرجع السالف ج ٧ الص ٢٦٠-٢٦٤ [وثائق نورمبرگ- ٦٨ EC].

٣٤- المرجع السالف ج ٧ ص ٧٦٥ [وثائق نورمبرگ ٣٠٤٤-PS. ب].

أمثلة قليلة جداً) يتضح: لو أن البقاء الطويل قد كتب لألمانيا النازية فسيكون معنى النظام الجديد سيادة الشعب الألماني المتفوق على إمبراطورية هائلة من العبيد الأرقاء تمتد من سواحل الأطلنطي حتى جبال الأورال. ولتكن واثقاً أن أسوء المصير كان مُدخراً للسلاخ.
بيّن هتلر في تموز ١٩٤١، ولم يمض شهرٌ على مهاجمته الإتحاد السوفييتي كل خطته عن إحتلالها مجملتها في عبارة "تسوية نهائية". وبعدها بعامٍ واحدٍ في حين بلغت إنتصاراته الروسية أوجها راح يحذّر معاونيه بقوله: "أما بخصوص المائة مليون سلافي المنحطين. فسوف نحور أفضلهم التحوير الذي يناسبنا وسنعزل الباقين منهم في زرائبهم الخنزيرية. وكل من يتحدث عن إبقاء السكان المحليين والأخذ بيدهم الى المدنية يذهب حالاً الى معسكر الاعتقال!"^(٣٥).

-٤-

أسرى الحرب

مع أن إستخدام أسرى الحرب في مصانع السلاح أو أي عمل يتعلق بالقتال في الجبهة، يعتبر إنتهاكاً صريحاً فاضحاً لإتفاقيات جنيف ولاهاي، فلم يكن ذلك ليصيب الرايخ الثالث بأي قلق حين عمد اليه، وهو أيضاً أزهّد ما يقلق بال ملايين الجنود الأسرى مادام هو أهون من الموت على كل حال. فقد انحصر كلّ همهم في البقاء أحياء حتى نهاية الحرب. فإن كانوا روسيين فالأمل ضعيف ونسبة الإحتمالات في غير صالحهم. كان عدد الأسرى الروس يفوق عدد كل الأسرى من الشعوب الأخرى مجتمعاً - ولقد قدروا بخمسة ملايين وثلاثة أرباع المليون، لم يعثر منهم إلا على مليون حيٍ فقط في معسكرات أسرى الحرب عندما حررتهم جيوش الحلفاء في ١٩٤٥. ومن ذلك المجموع أطلق سراح مليون تقريباً أو ضموا الى الوحدة الروسية البيضاء المتعاونة مع الألمان التي شكّلها الجيش. وقضى مليونان نحبيهم في الأسر الألماني- جوعاً وبردًا ومرضاً. أما المليون الباقي فلم يعرف عن مصيره شيء. وفي نورمبرگ ثبت بأكثر من دليل أن اغلب هذا المليون أما قضى نحبه نتيجة الأسباب الأنفة، أو تولى قتلهم رجال أمن الحرس الأسود (S. D). وتشير التقارير الألمانية الى قتل (٦٧٠٠٠) أسير منهم. ولكن هذا ولاشك جزء صغير من الرقم الحقيقي^(٣٦).

ان القسم الأكبر من أسرى الحرب الروس (ما يناهز ٣٨٠٠٠٠٠) وقعوا في ايدي الألمان في أولى

٣٥- احاديث هتلر السرية ص ٥٠.

٣٦- استندت الى الدراسة الواسعة العميقة التي قام بها الكساندر دالكين للسجلات الألمانية، وضمنها كتابه "الحكم الألماني في روسيا الص ٤٢٦-٤٢٧". وقد إستخدم الأرقام التي جمعتها دائرة القوات المسلحة العامة Allgemeines Wehrmachtamt التابعة للقيادة العليا للقوات المسلحة- في: Nachweisungen des Vesbleily des Soujetichen Kr. Gef. . Nachdem stand vom 1- 5 - 1944.

صفحات الحرب الروسية أثناء معارك التطويق الكبرى التي وقعت ما بين ٢١ حزيران و٦ كانون الأول ١٩٤١. وإقراراً بالحقيقة، كان يصعب على أي جيش في خضم المعركة والتقدم السريع أن يعنى عناية جيدة بمثل هذا العدد الهائل من الأسرى. إلا أن الألمان لم يبذلوا أي مجهود في هذا الصدد. والواقع أن المدونات النازية تكشف كما مرّ بنا إن الأسرى السوفييت تركوا عمداً بدون طعام وفي العراء دون غطاء أو وطاء ليموتوا حتف أنفهم في شتاء ١٩٤١ - ١٩٤٢ الفظيخ الثلجي النازل درجات عديدة تحت الصفر.

كان شعار العدد الكبير من المسؤولين النازيين بحسب مرجع لا يقل أهمية عن روزنبرگ نفسه، قوله "كلما زاد عدد من يموت من هؤلاء الأسرى، فهو أفضل لنا".

هذا الوزير المأفون للأراضي الشرقية المحتلة، لم يكن نازياً إنسانياً النزعة وبخاصة نحو الروس الذين ترعرع بينهم كما مرّ بنا. حتى هذا الصخري، تحركت عاطفته الى حد الإحتجاج الرسمي على معاملة أسرى الحرب السوفييت في رسالة مسهبة الى الجنرال كايتل رئيس القيادة العليا للقوات المسلحة مؤرخة في ٢٨ شباط ١٩٤٣. كان ذلك في ذروة الهجوم السوفييتي المضاد الذي دحر الألمان عن موسكو وروستوف وبلغ أبعد مداه في ذلك الشتاء عندما صحا الألمان على الحقيقة، وهي أن مقامرتهم بتحطيم روسيا في حرب قصيرة واحدة- قد فشلت ولربما كان فشلها نهائياً وأنهم قد لا يربحون الحرب لاسيما بعد أن أضيف اسم الولايات المتحدة الى قائمة اعدائهم البريطانيين والسوفييت. وإنهم في هذه الحالة سيحملون مسؤولية جرائم الحرب التي ارتكبوها.

"كتب روزنبرگ لكايتل] إن مصير أسرى الحرب السوفييت في ألمانيا هو مأساة بأوسع معانيها. فمن بين ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف لم يبق غير بضع مئات الألوف يقدرون على القيام بأعمالهم بصورة كاملة. لقد سقط عدد كبير منهم إعياءً من فرط الجوع أو قضاوا نحبهم بسبب قسوة المناخ". واستطرد روزنبرگ يقول ان هذا يمكن تفاديه. فثمّ قوت يكفيهم في روسيا.

"ومهما يكن من أمرٍ ففي معظم الحالات كان أمرو المعتقلات يمنعون توزيع الطعام على الأسرى، ويفضلون قتلهم جوعاً، ومنع المدنيين من إعطاء طعامٍ للأسرى عندما كانوا في طريقهم الى المعتقلات سيراً. وفي كثير من الأحيان كان يقتل بالرصاص المرهقون منهم والمنهكون جوعاً أثناء المسيرة وأمام اعين السكان المدنيين الهلّعة، وتترك الجثث على قارعة الطريق. ولم تتخذ التدابير في مختلف المعتقلات لإنشاء سقوف يحتمي تحتها الأسرى. وبهذا يبقون في العراء تحت السماء أثناء هطول الأمطار والثلوج...."

"واخيراً لايفوتني أن أذكر مسألة إطلاق النار على أسرى الحرب وقتلهم هذه... تتجاهل كل المفاهيم السياسية فمثلاً في عدد كبير من المعتقلات كان كل الأسرى "الآسيويين" يُقتلون رمياً بالرصاص...." (٣٧)

٣٧- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٣ الص ١٢٦-١٣٠ [وثائق نورمبرگ ٨٠ PS].

ليس الآسيويين وحدهم. بعد بدء الحرب الروسية بقليل توصلت القيادة العليا للقوات المسلحة ورجال أمن الحرس الأسود الى إتفاقية فيما بينهما بخصوص (ستر) الأسرى الروس. والهدف من ذلك كشفت عنه إفادة موثقة بقسم أداها (أوتو اوليندورف Otto Ohlendorf) وهو واحد من قتلة رجال أمن ال(إس.إس) الكبار ومثقف شاذ ككل المحيطين بهم. فقد حاز شهادتين جامعتين في القانون وفي الإقتصاد. وكان أستاذاً في معهد العلوم الإقتصادية التطبيقية.

"[شهد اوليندورف] لقد كان مقرراً أن يؤخذ كل اليهود وكل كادر شيوعي من معتقلات أسرى الحرب ويعدموا الحياة رمياً بالرصاص. وعلى مدى معرفتي كان هذا العمل مستمراً طوال الحرب الروسية"^(٣٨).

لكن لم يكن الأمر سهلاً في بعض الأحيان. ففي أحيان يبلغ الإعياء حداً بالأسرى الروس بحيث لا يعودون قادرين على السير الى ساحة الموت. وقد إستدعى هذا احتجاجاً من (هاينريخ مولر) رئيس الكشتاپو وهو رجل خفيف الحركة أنيق، لكنه سفك لاتهزه عاطفة^(٣٩).

"إن أمري المعتقلات يجأرون بالشكوى الدائمة: من وصول ٥ أو ١٠ بالمائة من السوفييت الروس المقرر قتلهم، الى معسكر الاعتقال موتى أو أشباه موتى... والملاحظ بصورة خاصة عند سير الأسرى مثلاً من محطة القطار الى المعتقل أن يسقط عدد كبير منهم اعياءً إمّا موتى وإمّا انصاف موتى، وكان ينبغي أن يرفعوا ويوضعوا في لوريات تسير وراء الرتل لا يمكن أن يُحال دون الألمان ورؤيتهم هذه الحوادث".

إن الكشتاپو لايهتم قلامة ظفر بالأسرى السوفييت وهم يسقطون موتى من الجوع والإعياء إلا بقدر ما يحرم الجالدين من ضحاياهم. ألا أنهم لا يريدون ان يشاهد الألمان هذا المنظر، ولذلك أصدر الكشتاپو مولر أمراً:

"يتم العمل به من هذا اليوم [٩ تشرين الثاني ١٩٤١]: كل الروس السوفييت الذين تبدو عليهم علامات الإحتضار الواضحة وهم لذلك عاجزون عن قطع المسافات سيراً حتى المسيرة القصيرة، يفصلون عن القافلة المرسله الى معسكر الإعتقال للقتل، ومن الآن فصاعداً^(٤٠).

إن أسرى الحرب الموتى أو المحتضرين جوعاً أو المنهوكي القوى لا يمكن ان ينجزوا عملاً، وفي ١٩٤٢ عندما إتضح للألمان أن الحرب ستستمر طويلاً وعندما أخذوا يفكرون بأن الأسرى السوفييت سيكونون مصدر طاقة لاغنى لهم عنه وإحتياطي عملهم في أمس الحاجة اليه، نبذوا سياسة التقتيل الى سياسة التشغيل. وشرح همملر التغيير في خطابه أمام رجال الحرس الأسود في پوزن ١٩٤٣.

٣٨- المرجع السالف ج ٥ ص ٣٤٣ (وثائق نورمبرگ ٢٦٢٢ PS).

٣٩- لم يعثر على (مولر) بعد الحرب. وقد رؤي آخر مرة في ملجأ هتلر في برلين في ٢٩ نيسان ١٩٤٥، ويعتقد بعض زملائه الباقين في قيد الحياة انه الآن في خدمة دوائر الأمن السرية السوفييتية، التي كان يلهج بها إعجاباً.

٤٠- المرجع السالف ج ٣ ص ٨٢٣ [وثائق نورمبرگ- ١١٦٥ PS].

"في ذلك الوقت [١٩٤١] لم نقدر قيمة الكتل البشرية كما نقدّرنا الآن- بوصفها مادة اولية. وإن نحن فكرنا للأجيال القادمة فما هو الآن مؤسف بسبب ضياع الطاقة الإنتاجية وليس مُحزنًا - هو أن يموت الأسرى بعشرات الألوف بل بمئات الألوف، إرهاباً وجوعاً^(٤١) والآن يلزم أن يُطعموا ما يكفي ليجعلهم قادرين على العمل. وفي شهر كانون الأول ١٩٤٤ كان ثلاثة أرباع المليون منهم، وبينهم عدد كبير من الضباط، يكدحون في مصانع السلاح والمناجم (خصص منهم مائتا ألف) وفي المزارع كانت معاملتهم قاسية جداً إلا أنه سمح لهم بالحياة على الأقل حتى أن الوشم الذي كان الجنرال كايتمل قد إقترحه للأسرى الروس أهمل ولم يعمل به^(٤٢).

أما معاملة أسرى الحرب الغربيين وبخاصة الإنكليز والأمريكان، فكانت أفضل نسبياً من المعاملة التي أخضع لها الروس. كانت تقع حوادث قتل ومجازر بين آن وآخر، إلا أن ذلك مرده عادةً الى القسوة والسادية المفرطة في أمري المعتقلات بصورة فردية. مثل حادث قتل عمده لواحده وسبعين أسيراً أمريكياً في ميدان الحرب بالقرب من (مالميدي Malmedy) في بلجيكا في ١٧ كانون الأول ١٩٤٤ أثناء معركة (بولج Bulge). هناك مناسبات أخرى حينما كان هتلر نفسه يأمر بقتل الأسرى الغربيين كقضية الطيارين البريطانيين الخمسين، الذين قبض عليهم في ربيع سنة ١٩٤٤ بعد فرارهم من معسكر إعتقال (ساگان Sagan) ووصفها كورنغ في نورمبرك "إني اعتبرها أخطر حادث من حوادث الحرب"، ونعتها الجنرال يودل "بجريمة قتل صرفة".

ويبدو فعلاً أنها جزء من سياسة ألمانية متقصدة إتخذت بعد أن اصبح القصف الإنكليز والأمريكي لألمانيا واسعاً مدمراً من ١٩٤٣ فصاعداً لتشجيع قتل الطيارين الحلفاء الذين يقذفون بأنفسهم من طائراتهم فوق ألمانيا. وشجع المدنيين على تعليق الطيارين حالما ينزلون الى الأرض بمظلاتهم. وقد حوكم عدد من هؤلاء الألمان لعملهم هذا بعد الحرب. في ١٩٤٤، عندما بلغ القصف الجوي الإنكليز والأمريكي أوجه، إقترح ريبنتروب أن يُقتل الطيارون حالاً رميةً بالرصاص، إلا أن هتلر تبني وجهة نظر أخف من هذه بعض الشيء. فأصدر في ٢١ أيار ١٩٤٤ بالاتفاق مع كورنغ أمراً يقضي أن يرمى بالرصاص فوراً وبدون محكمة عسكرية، الطيارون الأسرى الذين اطلقوا مدافعهم الرشاشة على قطارات الركاب أو طائرات مدنية أو ألمانية إضطرت الى الهبوط هبوطاً اجبارياً.

وفي بعض الأحيان كان الطيارون الأسرى يُسلمون الى رجال أمن الحرس الأسود لإجراء "المعاملة الخاصة" عليهم. وبهذه الصورة قُتل سبعة وأربعون ضابطاً طياراً من الهولنديين والإنكليز والأمريكان

٤١- المرجع السالف ج ٤ ص ٥٥٨ [وثائق نورمبرك ١٩١٩-PS].

٤٢- في ٢١ تموز ١٩٤٢ كتب كايتمل الأمر:

١- يجب أن يُعلم أسرى الحرب الروس بوشم خاص لايزول يتضمن علامة فارقة.

٢- الوشم يكون على شكل زاوية حادة ذات (٤٥) درجة تقريباً طول كل من ضلعيها سنتيمتر واحد. مؤشرة الى الأسفل. على الردف الأيسر بإرتفاع كف واحد تقريباً من المستقيم (الشرح). [محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٣٩ الص ٤٨-٤٩].

قتلاً وحشياً في معسكر إعتقال (ماوتهاوزن) في أيلول ١٩٤٤. ووصف شاهد العيان (موريس لامب Mourice Lampe) وهو أحد نزلاء المعتقل - كيف تم ذلك في محكمة نورمبرج قال: "اقتيد السبعة والأربعون ضابطاً وهم عراة الأقدام الى قطع صخور... وفي اسفل المرتقى حمل الحرس كل واحد منهم حملاً من الحجارة على ظهورهم لنقله إلى القمة. وخصصوا للرحلة الأولى ستين پاوناً لكل واحد ترافقها الركلات والرفسات... وكانت النقلة الثانية أثقل من الأولى فإذا سقط أحد المساكين تحت ثقلها رُكِل بالأرجل وضُرب بالهراوات... ويحلول المساء مددت إحدى وعشرون جثة منهم على الطريق. أمّا الستة والعشرون الباقون فقد قضوا نجبهم في صبيحة اليوم التالي." (٤٣)

وهذا شكل مألوف "من الإعدام" استُخدم في معتقل (ماوتهاوزن)، ومن بين من ذاقه عدد كبير من أسرى الحرب الروس.

ومنذ ١٩٤٢ فصاعداً (أعنى عندما أخذ مد الحرب ينحسر عن هتلر) أمر يقتل افراد الكوماندو الحلفاء أينما أسروا وبخاصة في الغرب. (أما أفراد الأنصار السوفييت فكانوا يقتلون حالاً بالطبع). ومن بين الوثائق النازية "أمر الكوماندو" السري جداً الذي أصدره هتلر في ١٨ تشرين الأول ١٩٤٢. "من الآن فصاعداً، يُقتل الى آخر رجل كل الأعداء الذين يقومون بما يطلق عليه (أعمال الكوماندو) في أوروبا أو أفريقيا وتشيتبتك معهم قواتنا، سواء في بزاتهم العسكرية، سواء أهم مسلحون أو عزل، في حالة مواجهة أو حالة هزيمة" (٤٤).

وفي ملحق توجيهي أصدره في اليوم نفسه شارحاً لقواده الأسباب التي دعت به الى إتخاذ هذا القرار، قال "بسبب نجاح كوماندو الحلفاء... اضطرت الى أن أصدر أوامر مشددة لتدمير قوات العدو التخريبية. يجب أن نوضح للعدو أن كل القوات التخريبية ستبُاد بدون إستثناء الى آخر رجل. وهذا يعني أن فرصهم في النجاة بأرواحهم هي صفر... ولن يتوقعوا مهما كانت الظروف أن يعاملوا وفق قواعد إتفاقيات جنيف وإذا كان الأمر يتطلب (لأسباب الإستجواب)، إستثناء واحدٍ أو اثنين فيجب أن يقتلوا بعد إنتهاء الإستجواب" (٤٥).

هذه الجريمة بالذات يجب أن تبقى سراً مغلقاً. فقد ذيل الجنرال (يودل) تعليمات هتلر بعبارة وضع تحتها خط: "هذا الأمر لا يطلع عليه غير القادة. ويجب ألا يقع في يد العدو بأي حال من الأحوال". وأمر القادة بإتلاف كل نسخة بعد أن يطلعوا عليه. ولاشك أنه إنطبع في أذهانهم، لأنهم بدأوا في تنفيذه وستقدم حادثتين منه فيما يلي.

في مساء ٢٢ آذار ١٩٤٤ نزل بر إيطاليا ضابطان وثلاثة عشر جندياً من "فوج الإستطلاع الخاص"

٤٣- المرجع السالف ج ٦ الص ١٨٥-١٨٦.

٤٤- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٣ الص ٤١٦-٤١٧ [وثائق نورمبرج- ٤٩٨ PS].

٤٥- المرجع السالف الص ٤٢٦-٤٣٠ [وثائق نورمبرج ٥٠٣ PS].

المائتين والسابع والستين التابع لجيش الولايات المتحدة، نزلوا من سفينة أسطول بعيداً جداً عن خطوط الألمان بمهمة نسف نفق قطار بين (لاسيبيزيا La Spezia وجنوه Genoa) وهم ببيزاتهم العسكرية ولا يحملون معهم ثياباً مدنية فأسروا بعد يومين قتلوا رمياً بالرصاص أمام فصيلة إعدام بدون محاكمة.

وبأمرٍ مباشر من الجنرال (انطون دُستلر Anton Dostler) قائد الجيش الألماني الخامس والسبعين. وقد حوكم فيما بعد أمام مجلس عسكري أمريكي فنفى عنه مسؤولية عمله بقوله أنه أطاع أمر هتلر الخاص بالكوماندو ليس إلا، ولو لم ينفذ الأمر لحوكم هو نفسه أمام مجلس عسكري ألماني^(٤٦). وأعدم الحياة في معتقل (ماوتهاوزن) بأمرٍ من الدكتور ارنتس كالتنبرونر Dr Ernst Kaltenbruner خليفة (هيدريخ) في رأسه قسم الأمن في الحرس الأسود وأحد المتهمين في نورمبرغ^(٤٧). خمسة عشر عضو بعثة عسكرية أنكلوأمريكية، بضمنهم مراسل حربي لوكالة الأسوشييتد پريس، وكلهم في بزات عسكرية هبطوا بالمظلات في سلوفاكيا في كانون الثاني ١٩٤٥. وكان مقتلهم سيقى سراً أدياً لولا شهادة نائب ضابط في المعتقل رأى أعدامهم يأم عينه. ذلك لأن معظم ملفات القتل الإجماعي في هذا المعتقل قد أُلقت^(٤٨).

-٥-

الهول النازي في الأراضي المحتلة

في ٢٢ تشرين الأول ١٩٤١ نشرت صحيفة فرنسية إسمها (لوفار Le Phare) المملوطة التالية:
"لقد قتل المجرمون الرعايد من وكلاء إنكلترا وموسكو قائد ميدان مدينة (نانت) - Nantes - Feldkemmondont في صباح العشرين من تشرين الأول. ولم يقبض على القتلة حتى الآن... وتكفيراً عن هذه الجريمة أمرت أن يُقتل خمسون من الرهائن رمياً بالرصاص في الدفعة الأولى... وسيُقتل خمسون رهينة أخرى إن لم يجر إعتقال المجرمين ابتداءً من هذا اليوم حتى ٢٣ تشرين الأول منتصف الليل."

باتت هذه الملاحظات مألوفة اعتيادية على صفحات الجرائد أو على إعلانات جدران ذات حواشٍ سوداء في فرنسا وبلجيكا وهولندا والنرويج وپولندا وروسيا. والنسبة التي أعلنها الألمان رسمياً هي نسبة ثابتة: مائة لواحد، مائة رهينة تقتل رمياً بالرصاص مقابل كل ألماني قتل. ومع أن عادة أخذ الرهائن هي من العادات الموهلة في القدم وأكثر من إستعملها الرومان، فهي

٤٦- حكمت محكمة عسكرية أمريكية في روما بتاريخ ١٢ تشرين الأول ١٩٤٥ بالموت على الجنرال دوستلر.

٤٧- شفق (كالبترزوني) في سجن نورمبرغ في ليلة ١٦/١٥ من تشرين الأول عام ١٩٤٦.

٤٨- المرجع السالف ج ٧ الص ٧٩٨-٧٩٩ [وثائق نورمبرغ- ٥١ L].

على العموم لم تمارس في الأزمنة الحديثة. خلاً أن الألمان مارسوها في الحرب العالمية الأولى وكذلك البريطانيون في الهند وجنوب أفريقيا أثناء حرب البوير Boer. إلا أن الجيش الألماني إستخدمها في أيام هتلر بنطاقٍ واسع أثناء الحرب. وقد عُرضت في نورمبرگ عشرات من الأوامر السرية بتوقيع الجنرال كايتل ومن يليه من القادة الأدنى رتباً- تقضى بأخذ الرهائن وقتلها. وفي ١ تشرين الأول ١٩٤١ بين كايتل "من الأهمية بمكان أن هؤلاء [الرهائن] يجب أن يكونوا من الشخصيات البارزة المعروفة. أو من افراد أسرهم"، ويعدّها بسنة واحدة أكد الجنرال فون (شتوليناكل) القائد الألماني في باريس "كلما كانت الرهينة التي ستقدم الحياة معروفة بارزة كلما كان التأثير الرداع أشد في الفاعلين".

وبلغ مجموع الرهائن التي قتلها الألمان في فرنسا أثناء الحرب (٢٩٦٦٠) ضحية. وليست هذه من ضمن الأربعين ألف فرنسي الذين (ماتوا) في السجون الفرنسية. أما الرقم البولندي فبلغ ثمانية آلاف رهينة، وفي هولندا حوالي ألفين. وفي الدانمارك ناب عن الإعلان الرسمي بإعدام الرهائن ما أصبح معروفاً بنظام "القتول الغاسلة". فقد أصدر هتلر أوامره الصريحة بخصوص تطبيق العقوبات على مقتل الألمان في الدانمارك بصورة سرية "وبنسبة واحد إلى خمسة"^(٤٩). وبهذا الشكل وعلى هذه الأسس قُتل القس الدانيمركي الشاعر والمسرحي العظيم (كاي مونك Kai Munk) وأحد أحب الشخصيات في سكندنافيا. قُتل قتلةً شنعاء ورمى الألمان جثته على قارعة الطريق وشبكوا فيها رقعة كتبوا فوقها ما يلي: "خنزير! لقد عملت لألمانيا أيضاً".

من بين سائر جرائم الحرب التي قال الجنرال كايتل في محكمة نورمبرگ أنه ارتكبها بأوامر من هتلر... وهي (أشنعها طراً) على حد قوله: تلك التي نُجمت عن "مرسوم الليل والضباب Nacht und Nebel Erlass). وخصّ بهذا الأمر الشاذ أولئك البائسون من سكان الغرب المحتل، ووضع هتلر نفسه موضع التنفيذ في ٧ كانون الأول ١٩٤١. والغرض منه كما يدل عنوانه الشاذ هو: إلقاء القبض على الاشخاص الذين "يهددون سلامة الدولة الألمانية" فلا يقتلون فوراً وأما يذوبون ويتلاشون دون أن يبقى لهم أثر في (ليل وضباب) المجهول في ألمانيا. ولا يُعطى عنهم أي معلومات لأسرهم ولا يُخبر أحد بمصيرهم وان كان السؤال لمجرد معرفة مواضع دفنهم من بلاد الرايخ كما رسم بشكلٍ باتٍ.

وفي ١٢ كانون الأول ١٩٤١ أصدر كايتل التعليمات التي يشرح بها مرسوم الزعيم من حيث المبادئ والأسس فقال "إن عقوبة الموت تفرض على كل الجرائم التي تُرتكب ضد الدولة الألمانية، لكن... إن عوقب على هذه الجرائم بالسجن حتى الأشغال الشاقة المؤبدة فسيُعد هذا دليلاً على الخور والضعف. والإرهاب ذو الأثر المجدي لا يتحقق إلا بأمرين: أما بعقوبة الموت أو بإتخاذ إجراءات عدم تعريف أقرباء المجرم والأهالي بشيءٍ ما عن مصيره"^(٥٠).

٤٩- محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٧ ص ٤٧.

٥٠- مؤامرة النازيين وعدوانهم: ج ٧ ص ٨٧٣- ٨٧٤ [وثائق نورمبرگ- ١٩٠].

وفي شباط التالي توسع كايتل في شرح "مرسوم الليل والضباب"... فأوصى في حالات عدم إيقاع عقوبة الموت خلال ثمانية أيام من إلقاء القبض على الشخص... بأن "يُنقل الموقوفون الى ألمانيا سراً.. ولهذا الإجراء تأثير رداً شديداً لأن: (١) الموقوف سيضيع دون ان يخلف أثراً. (٢) المعلومات لا تُعطي مطلقاً عن مكانه أو مصيره^(٥١).

وأُنيط برجال أمن الحرس الأسود صلاحية القيام بهذه المهمة الشنعاء. لذلك كانت ملفاتها السرية المستولى عليها مشحونة بمختلف الأوامر المتعلقة بتنفيذ مرسوم الليل والضباب، أو كما سموه إختصاراً (ن. ن - N .N)، ولاسيما تلك التي تحتم إبقاء قيور الضحايا سراً مكتوماً. ترى كم من الأوروبيين الغربيين إختفوا تحت جناح الليل والضباب؟ ذلك ما لم يُعلم عدده في نورمبرغ على أن قليلاً جداً من هؤلاء خرجوا أحياءً.

ومهما يكن. فهناك أرقام تتعلق بعدد من ضحايا عملية مهولة أخرى طبقت على أراضي محتلة في روسيا أمكن الحصول عليها من سجلات رجال الأمن السريين لتتير لنا بعض السبيل. لقد نفذ هذه العملية ما عرف في ألمانيا باسم فصائل العمل الخاصة (اينزاتسگروپن Einsatz gruppen)، وما نفضل أن نطلق عليه "فصائل القتل" انسجماً مع طبيعة العمل الذي كلفت به. وظهرت أولى الأرقام التقريبية لما انجزت بحض الصدفة في نورمبرغ.

في احد الأيام التي سبقت محاكمات نورمبرغ كان اللفتانت كوماندر من البحرية الأمريكية وتني ر. هاريس. Whitney R.Harris من مساعدي هيئة الادعاء العام، يستجوب المدعو (أوتو أوليندروف) عن أعماله في أيام الحرب. وكان الضابط الأمريكي يعلم أن هذا المثقف الألماني الوسيم ذا الملامح الشابة (يبلغ من العمر ٣٨ سنة) قد رأس القسم الثالث من دائرة أمن هملمر المركزية. إلا أنه في سنوات الحرب الأخيرة قضى معظم اوقاته بوظيفة خبير في التجارة الخارجية بوزارة الإقتصاد. فأجاب أنه قضى فترة الحرب موظفاً في برلين سنة واحدة فسأله المحقق عن الأعمال التي تولاه خلال هذا العام. فأجاب: "كنت رئيساً لفصيلة العمل الخاص الرابعة (اينزاتسگروپن: دي).

كان هاريس يمتنن المحاماة. وقد بات مرجعاً هاماً في الشؤون الألمانية وقتذاك، وهو بهذه الفصائل عليم فيآدره حالاً:

- في السنة التي توليت رآسة فرقة العمل الخاص الرابعة، كم أهلكت فرقتك من الرجال والنساء والاطفال؟

يتذكر (هاريس) فيما بعد أن (أوليندروف) هزّ كتففيه بعدم إكتراث وأجاب بعد قليل جداً من التردد (تسعون ألفاً!)^(٥٢).

في مبدأ الأمر، قام (هملمر وهيدريخ) بتشكيل هذه الفرق لتتبع الجيوش الألمانية الى بولندا في

٥١- المرجع السالف الص ٨٧١ - ٨٧٢ [وثائق نورمبرغ - L ٩٠].
٥٢- هاريس "الطغيان أمام المحكمة Tyranny on Trial الص: ٣٤٩ - ٣٥٠.

١٩٣٩، وتقوم بجمع اليهود من أرجاء البلاد وحشرهم في أحياء خاصة: Ghettos. وبعد مرور سنتين تم الإتفاق مع الجيش الألماني أن تتبع هذه الفصائل وحدات الميدان الى المناطق المحتلة لتنفيذ إحدى صفحات "الحل النهائي". وشُكلت لهذا الغرض أربع فصائل: (ا، ب، ج، د)، والأخيرة منها كانت برئاسة أوليندروف منذ حزيران ١٩٤١ حتى حزيران ١٩٤٢. وزاولت أعمالها في القطاع الجنوبي الأدنى من (أوكرانيا)، وربطت بالجيش الحادي عشر. في قصص الإتهام وجه العقيد المدعي العام جون هارلان آمين John Harlan Amen، سؤالاً الى أوليندروف عن فحوى التعليمات التي تسلمها. فأجاب:

- نصت التعليمات على (تصفية) جميع اليهود والقوميسارين السياسيين السوفييت.

فسأله آمين: عندما تقول (تصفية) فهل تعني (القتل)؟

فأجاب (أوليندروف): نعم أعني (القتل). وبيّن أن القتل لم يقتصر على الرجال وإنما شمل النساء والأطفال. وهنا ابتدره القاضي السوفييتي الجنرال. ي. ت. نيكيتيچنكو T. I. Nikitchenko

- ما الأسباب التي دعت لقتل الأطفال؟

أوليندروف: الأوامر كانت تقضي بإستئصال اليهود إستئصلاً جماعياً.

الجنرال نيكيتيچنكو: ويضمنهم الأطفال؟

أوليندروف: نعم.

الجنرال نيكيتيچنكو: أو أهلكتم كل الأطفال اليهود؟

أوليندروف: نعم.

وفي أثناء إجابته على اسئلة أخرى وجهها اليه العقيد (آمين)، شرح أوليندروف في إفادته كيف يتم القتل الجماعي: "تدخل وحدة من هذه الفرقة قرية ما أو بلدة وتطلب من أبرز القوم اليهود فيها أن يجمعوا بني جلدتهم في محل واحد لغرض "إعادة إسكانهم"^(٥٣)

وبعد أن يتم جمعهم يُطلب منهم تسليم أئمن مقتناتهم كما يؤمرون بنزع ثيابهم الخارجية (وهذا يتم قبل إهلاكهم بوقت قصير) وبعدئذ ينقلون الى ساحة الرمي، وتكون عادة خندقاً من الخنادق المضادة للدبابات- بلوريات تحمل أكثر ما يمكن منهم وبأكثر ما يتسع الوقت لقتلهم في الحال. ونحن بهذه الوسيلة نحاول ان نجعل الفترة المنحصرة بين معرفة الضحايا المصير المقدر لها وبين تنفيذ عمل القتل فيها أقصر ما يمكن. وبعد ذلك نطلق عليهم النار وهم إما واقفون وإما راكعون أمام فصائل الإعدام على الطريقة العسكرية. وتقذف الجثث في الخندق. ولم أسمح بإطلاق النار بشكل فردي بل أمر أن يقوم عدة رجال بإطلاق النار في آن واحد حتى تُرفع المسؤولية الشخصية المباشرة - أما غيري من قادة فرق العمل الخاص، فقد كانوا بأمر من الضحايا أن ينبطحوا على الأرض وتزهق ارواحهم بإطلاق الرصاص عليهم في رقابهم عند القذال، ولكنني ما كنت أحبّد هذه الوسائل"

فسأله (آمين): ولماذا؟

٥٣- يقصد: انهم يخبرون بنقلهم وإسكانهم في مكان آخر.

فأجاب أوليندروف: لأنها كانت من الناحية النفسية عبثاً يصعب أن يتحملة الجانبان: الضحايا وأولئك الذين يقتلونهم.

ويتذكر أوليندروف انه تسلم في ربيع عام ١٩٤٢ أمراً من هملر يقضي بتغيير طريقة إهلاك النساء والاطفال^(٥٤). فراحوا منذ ذلك الحين يقتلونهم في "عربات الغاز"، وهي سيارات صنعتها لهذا الغرض بالذات شركتان ألمانيتان في برلين. وقد وصف (ضابط الأمن) للمحكمة كيف تقوم هذه العربات العجيبة بعملها القتال، قال:

"الغرض الحقيقي لهذه العربات لا يُستشف قط من مظهرها الخارجي، فهي تبدو للرائي لوريات مقفلة، جرى تركيبها الآلي بشكلٍ خاص، ما أن يدور المحرك حتى يدخل غاز الإحتراق (العادم) الى داخل العربة المحكمة السد، بدل أن يخرج الى الخارج في السيارات الإعتيادية. وتحصل الوفاة في فترة تتراوح بين عشرة وخمس عشرة دقيقة".

ورغب العقيد (أمين) أن يعرف "كيف يتم إقناع الضحايا بدخول هذه العربات؟" فأجاب ضابط الأمن أوليندروف: يقال لهم أنهم سيُقتلون الى مكان آخر^(٥٥).

وشكا من أن دفن ضحايا عربات الغاز كان "محنة عظيمة جداً" لأفراد فرق العمل الخاص. وأيده في ذلك شخص يدعى الدكتور (بيكر Beeker). فقد تعرف أوليندروف عليه في محكمة نورمبرج عندما عرضت إحدى الوثائق هناك، وشهد إنه مصمم هذه العربات ومخترعها. هذا الدكتور إحتج في رسالة بعثها الى المقر العام على تكليف رجال الأمن الألمان بمهمة تفرغ جثث النسوة والأطفال الذين تم خنقهم بالغاز ونبه الى..

"الآثار النفسية العظيمة والأضرار الصحية الجسيمة التي يلحقها هذا العمل بالرجال، فهم يشكون لي صداغاً وأوجاعاً في الرأس ما تلبث إلا ان تظهر فيهم بعد تفرغ كل حمل".

واشار الدكتور بيكر على رؤوسائه الى أن.. "إستخدام الغاز عادةً لا يتم بشكل صحيح، فلأجل الوصول الى نهاية سريعة جداً، يجب على السائق ان يدوس فرملة الغاز الى أقصى حدٍ تصل اليه وبهذا يتأتى الموت بسبب الإختناق لا بسبب الغيبوبة وهو المطلوب".

ان الدكتور بيكر كان إنسانياً كبيراً (بالشكل الذي يصوره لنفسه). ولذلك أمر بإجراء تغيير في اسلوب إجراء العملية.

"لقد اثبتت تعليماتي أخيراً أن الموت يتأتى بأسرع وقت، اذ يروح السجناء في إغفاءة هائلة عند قيامنا بضبط صحيح للفرملة Lover. ولم تعد تلاحظ السحن المنقلبة والأوجه المتقلصة والقيء وغيرها

٥٤- كان لهذا الأمر سبب خاص: انظر ما سبق.

٥٥- حوكم أوليندروف مع واحد وعشرين آخرين من رفاقه في فرق العمل الخاص أمام محكمة عسكرية أمريكية. وحكم على أربعة عشر منهم الموت. ولم ينفذ الحكم إلا في أربعة وهم أوليندروف والآخرين قادة الفرق. وتم ذلك في ٨ حزيران ١٩٥١ في سجن لاندسبرج بعد ثلاث سنوات ونصف سنة من صدور الحكم عليهم تقريباً. وقد خففت أحكام الموت عن الآخرين.

من الإفrazات" (٥٦).

ولم تكن عربات الغاز قادرة على إهلاك أكثر من عشرة حتى خمسة عشر شخصاً كل دفعة- كما شهد (أوليندروف). وهذا لا يستقيم قط مع نطاق المجازز الواسع الذي أمر به هتلر وهملر ويعجز مثلاً عن إنجاز العمل الذي تم في (كيبث) عاصمة أوكرانيا خلال يومي ٢٩ و ٣٠ أيلول ١٩٤١، حيث تم ازهاق (٣٣٧٧١) نفساً كما جاء في تقرير رسمي لفرق العمل الخاص، ومعظم هؤلاء من اليهود السوفييت (٥٧).

وران على قاعة محكمة نورمبرج صمت عميق من فرط الرعب، عندما قام السر هارتلي شوكرس Sir Hartley Shaucross رئيس الإدعاء العام الإنكليزي، فقرأ تقرير شاهد عيان ألماني حول كيفية تنفيذ مجرزة إجماعية في اوكرانيا أقل من السابقة عدداً. هذا التقرير هو إفادة موثقة باليمين أداها هرمان كراييه Hermann Craebe مدير ومهندس فرع دائرة شركة إنشائية ألمانية في أوكرانيا بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٤٢. وقد شاهد كوماندو (فرقة العمل الخاص) مع الميليشيا الأوكرانية وهي تمارس عمل الجلادين في حفر الإعدام بدوينو Dubno في الأوكرين. قال إن الموضوع كان يتعلق (بتصفية) خمسة آلاف يهودي سوفييتي لاغير!

"... ذهبتُ أنا ورئيس عمالي الى الحُفر. وبوصولي صك سمعي صدى إطلاق نارٍ متواصلٍ مصدره جهة ثانية من أحد تلول الأتربة... إن الناس الذين نزلوا من اللوربات كانوا رجالاً ونساءً واطفالاً من مختلف الأعمار.. ولقد أمرهم واحد من رجال الحرس الأسود كان ممسكا بكرياج كلابٍ أو خيل، لا أدري- بأن يخلعوا كل ثيابهم. ويفرقوها حسب اصنافها في الاماكن المخصصة لكل منها. فالأحذية في مكان، والثياب الخارجية من مكان، والثياب الداخلية في مكان. وشاهدت كومة من الاحذية يتراوح عددها بين ثمانمائة زوج وألف. كما شاهدت اكداساً عظيمة من الثياب الداخلية البيضاء وغيرها من الكسوات. خلع هؤلاء الناس ثيابهم دونما صراخ أو عويل ووقفوا في جماعاتٍ متكثلة. وراح يقبل أحدهم الآخر ويودع بعضهم بعضاً. منتظرين إشارةً من حرس أسود آخر كان واقفاً بالقرب من النقرة وييده كرياج. ولم أسمع أثناء الدقائق الخمس عشرة التي وقفتها بالقرب من الحفرة، أيّ شكوى أو إستغاثة أو طلب رحمة.

وشاهدت عجوزاً بيضاء اللمة تحتضن في ذراعيها طفلاً عمره سنة واحدة تغني له وتناغيه. وكان الطفل يشغو ويتضحك طرباً وأبواه ينظران اليه بأعين دامعة. والوالد ممسك بيد صبي

٥٦- شهادة أوليندروف أمام محكمة نورمبرج "محاكمة مجرمي الحرب الكبار ج ٤ الص ٣١١-٣٢٣ وإفادته مستندة على إستجواب (هاريس) له "مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٥ الص ٣٤١-٣٤٢ [وثائق نورمبرج ٢٦٢٠-PS]. رسالة الدكتور بيكر. المرجع السالف ج ٣ الص ٤١٨-٤١٩ [وثائق نورمبرج ٥٠١-PS].
٥٧- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٨ ص ١٠٣ [وثائق نورمبرج ١٠٢-R].

في حدود العاشرة يكلمه برقة، والصبي يغالب دموعه ويحبسها قسراً. ثم أشار الأب الى الأعلى وربت على رأس الصغير وبدا وكأنه يُسر الى ابنه كلاماً.
في تلك الأثناء صاح الحرس الأسود القريب من الحفرة منادياً رقيقه، فعد هذا الأخير حوالي عشرين نفرًا من العراة وأمرهم بالذهاب الى ماورا تلى التراب... وأذكر جيداً فتاةً نحيفة القامة سوداء الشعر أشارت الى نفسها عندما مرّت بالقرب مني وقالت: - ثلاث وعشرون سنة!

رحتُ ادور حول التل فإذا بي أمام قبر واسع، ورأيت أكداً من الأبدان مكدسة طبقةً فوق طبقة وهي مصبوغة الأذرع بالدماء المتدفقة من رؤوسها. وبعضها مازالت الحياة تنبض فيه، وشاهدت الأحياء منهم يرفعون سواعدهم ويديرون رؤوسهم ليدلوا على أنهم مازالوا أحياء. وكانت الحفرة ممتلئة بالجثث الى الثلثين، وقدرت أنها تحتوي على ألف جثة. وحانت مني إلتفاتة الى الشخص الذي يقوم بإطلاق النار على الضحايا، وهو من رجال الحرس الأسود، فوجدته جالساً عند حافة النهاية الضيقة من الحفرة وقد أدلى بقدميه فيها ووضع مدفعه الرشاش على ركبته وهو يدخن سيكارة.

نزل هؤلاء الأشخاص عراة كما خلقهم الله بضع درجات الى الحفرة وراحوا يطأون رؤوس الذين سبقوهم. حتى وصلوا الى الموضع الذي أمروا بالانبطاح فيه. ففعلوا ذلك أمام الموتى والجرحى الأوائل وأنشأ بعضهم يعانق أولئك الذين مازالوا أحياء ويكلمونهم همساً. ثم سمعت رشقة من النار وتطلعت الى الحفرة فرأيت الجسوم تتلوى وتتشنج والرؤوس هامدة فوق الجثث الملقاة تحتها. وكان الدم يتدفق من أعناقهم- في تلك الأثناء كانت الدفعة التالية قد تقدمت ونزلت الى الحضرة وإستلقت فوق الضحايا السابقين، وتمّ قتلها كالأول...."

وهكذا إستمر قدوم الدفعات واحدة بعد الأخرى. وفي اليوم التالي عاد المهندس الألماني الى الموضع...

"شاهدت حوالي ثلاثين عارياً مستلقياً قرب الحفرة، بعضهم أحياء وبعضهم جثث هامدة... أمر الأحياء منهم فيما بعد أن يقوموا بإلقاء الجثث الزاحفة الى الخارج، داخل الحفرة وبعد أن أتموا ذلك. أمروا بان ينبطحوا فوقها واطلق الرصاص على اقفية اعناقهم... وأشهد أمام الله إنها الحقيقة بعينها" (٥٧).

ترى كم جزرت فصائل فرق العمل الخاص من اليهود السوفييت ومن كوادر الحزب الشيوعي في روسيا قبل أن يدفع الجيش الأحمر بالألمان الى خارج البلاد؟ (الضحايا من الأولين أكثر من الأخيرين بكثير)؟ لم يقدم الى محكمة نورمبرگ رقمٌ دقيق للمجموع الكلي. إلا ان سجلات هملر على تزييفها وتعميتها تعطينا فكرة تقريبية.

٥٧- المرجع السالف ج ٥ الص ٦٩٦-٦٩٩ [وثائق نورمبرگ ٢٩٩٢ PS].

لم تبلغ فرقة العمل الخاص الرابعة بضحاياها التسعين ألفاً، ما بلغته الفرق الأخرى كلاً على حدة. فالفرقة الأولى في الشمال أبلغت في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٢ أنها قبضت على (٢٢٩٠٥٢) نفساً في أقاليم البلطيق وجمهورية روسيا البيضاء. وكتب قائدها (فرانز شتاليكر Franz Stahlecker) الى هملر بما يعاني في روسيا البيضاء من مصاعب، لإضطراره الى بدء أعماله متأخراً بسبب حلول موسم الإنجماد الكثيف مما جعل الإعدام الجماعي شاقاً للغاية، على أنه أبلغ عن قتله ٤١٠٠٠ نفس حتى تاريخ الرسالة في [روسيا البيضاء] وحدها. ولم يفت شتاليكر هذا الذي قتله الأنصار السوفييت بعد سنة - أن يرفق بتقريره خريطة أنيقة، اثبت فيها عدد الأرواح التي أزهقها برمز تابوت فوق كل منطقة تحت سيطرته. ويتضح منها أنه قتل في (ليتوانيا) وحدها (١٣٦٤٢١) يهودياً وأرجاً قتل (٣٤٠٠٠) آخرين مؤقتاً "للحاجة التي تدعو الى تشغيلهم". أما (إستونيا) التي يسكنها قليل من اليهود نسبياً، فقد جاء في التقرير أنها أصبحت (خالية من اليهود)^(٥٨).

وبعد فترة سبات الشتاء القاسي تحركت فصائل الموت التابعة لفرق العمل الخاص وإنهمكت طوال فصل صيف ١٩٤٢ بقتل حوالي (٥٥٠٠٠) يهودي آخر في روسيا البيضاء الى اليوم الأول من تموز. وفي تشرين الأول قضت على كل سكان الأحياء اليهودية في مدينة (منسك) البالغ عددهم (١٦٢٠٠) في يوم واحد فقط. وماحل شهر تشرين الثاني حتى إستطاع (هملر) إبلاغ (هتلر) أن عدد اليهود الذين أريدوا في روسيا خلال اشهر آب وأيلول وتشرين الأول قد بلغ (٣٦٣٢١١). ولعل هذا الرقم قد بولغ فيه خصيصاً لأدخال السرور الى نفس الزعيم المتعطشة للدماء^(٥٩).

وبحسب رواية كارل [أدولف] إيخمان رئيس الدائرة اليهودية في الكشتايبو أتمت (فرق العمل الخاص: أنيزاتسغروين) "تصفية" مليوني شخص في الشرق معظمهم يهود. لكن هذا مبالغة مؤكدة. وتلك ظاهرة غريبة في زعماء الحرس الأسود لكنها حقيقية. فهم كثيرو الفخر والمباهاة بالعدد الذين يهلكونه، وغالباً ما كانوا يبلغون (هتلر وهملر) أرقاماً كبيرة خيالية لمجرد إدخال المسرة في نفسيهما. ولقد أبلغ مدير دائرة إحصاء هملر بخاصة (الدكتور ريكارد كورهر Dr. Richard Korherr) رئيسه في تقرير مؤرخ في ٢٣ آذار ١٩٤٣، أن المجموع الكلي الذي "أعيد إسمكانه" من يهود روسيا قد بلغ (٦٣٧٣٠٠) شخصاً. و"إعادة الإسكان" تعبير يدل على القتل بأيدي فرق العمل الخاصة^(٦٠).

٥٨- المرجع السالف ج ٤ الص ٩٤٤-٩٤٩ [وثائق نورمبرك ٢٢٧٣-PS].

٥٩- في ٣١ آب أمر (هملر) وحدة من فرقة العمل الخاص التي تتولى القتل. بأن تقوم بتجربتها أمامه على مئة معتقل في سجن (منسك) ليري كيف يكون. ويروي باخ زالفسكي Baek Zalawski، وهو ضابط كبير في الحرس الأسود كان حاضراً، أن هملر كاد يسقط مغشياً عليه حين شاهد التأثير الذي أحدثته أولى رشقة من الرصاص. وبعد بضع دقائق عندما وجد أن الرصاص لم يقض على امرأتين حالاً، أدركت زعيم الحرس الأسود نوبة عصبية حادة وكان من أثر هذه التجربة ان أصدر أمراً يمنع قتل النساء والأطفال بالرصاص وأن يتم إزهاق أرواحهم في عربات الغاز [المرجع السالف: وثائق نورمبرك: رقم ٢٦٥٣]. [القضية رقم ١١ من محاكمات مجرمي الحرب [وثائق نورمبرك رقم ٥١١] وهي ما عرفت باسم قضية فرقة العمل الخاص وعنوانها (الولايات المتحدة ضد أوتو أوليندورف).

٦٠- اوردها رايتلينجر Reitlinger في كتابه "الحل النهائي: الص ٤٩٩-٥٠٠ ودراساته في هذا الكتاب وكتابة =

ومن الغريب أن هذا الرقم يتفق بصورة تقريبية مع نتائج الدراسات المستفيضة المضنية التي قام بها عدد من الخبراء المختصين. ولتضاف الى هذا مائه ألف أخرى ذُبحت في السنتين الأخيرتين من الحرب، وسيكون الرقم أقرب ما يمكن أن نتوصل اليه من الحقيقة^(٦١).
ومهما بلغ هذا الرقم من الإرتفاع، فهو صغير جداً بالمقارنة الى عدد من ازهقت انفسهم في معسكرات هملا للإبادة الجماعية. عندما بُدِيَ بتنفيذ "الحل النهائي".

-٦-

"الحل النهائي"

في أحد أيام حزيران الجميلة من عام ١٩٤٦ كان ثلاثة أعضاء من هيئة الإدعاء العام الأمريكي في نورمبرگ يستجوبون ضابط الحرس الأسود (نائب الزعيم Ober gruppen fuehres) اوسقالد پوهل Pohl Osvald، الذي كان في وقت ما مشرفاً على المشاريع الإنشائية لنزلاء معسكرات الاعتقالات النازية، وهو عمل واحد من بين أعمال مختلفة أنيطت به.

وكان (پوهل) ضابطاً بحرياً قبل التحاقه بالحرس الأسود، إختفى عن الأنظار بعد إنهاء ألمانيا، ولم يقبض عليه إلا بعد مرور سنة واحدة (في أيار ١٩٤٦) عُثر عليه يشتغل في مزرعة متناكراً بهيئة عامل فلاح^(٦٢).

وفي أثناء إجابته على أحد اسئلة هؤلاء المحققين، استخدم تعبيراً كان الإدعاء العام في نورمبرگ قد بدأ يألف وجوده أثناء تقلبيه الدائب في الوثائق المستولى عليها وتمحيصه في ملايين الكلمات والمصطلحات التي تعرض خلالها. وقال (پوهل) أن زميلاً له يُدعى (هوييس Hoess) إستخدمه في مشروع "الحل النهائي لمشكلة اليهود".

فسأله: "وما معنى هذا؟"

فأجاب: "معناه: استئصال شافة العنصر اليهودي".

هذا الإصطلاح تسلسل بسرعة وزاد إستخدامه زيادة مطردة في أحاديث وملفات زعماء النازي بتقديم

= "الحرس الأسود" من أدق الابحاث التي وجدتها في الموضوع.

٦١- لم يتحدد عدد أعضاء الحزب الشيوعي السوفييتي (الكادر) الذين ذبحتهم فرق العمل الخاصة، ويقدر معلوماتي ان معظم تقارير رجال الأمن التابعين للحرس الأسود، كانت توردهم دمجاً مع اليهود السوفييت. وقد وجدت في أحد التقارير الواردة من فرقة (أ) بتاريخ ١٥ تشرين الأول ١٩٤١، إثبات رقم (٣٣٨٧) شيوعياً من ضمن مجموع كلي برقم (١٢١٨١٧) تم قتلهم والباقون هم يهود سوفييت. إلا أن التقارير كانت تُدمج الإثنين معاً.

٦٢- حكمت محكمة عسكرية تابعة للولايات المتحدة بالموت على (پوهل) في القضية التي عرفت باسم "قضية معسكر الاعتقال". وقد صدر الحكم عليه في ٣ تشرين الأول ١٩٤٧، ونُفذ فيه في ٨ حزيران ١٩٥١ في سجن لاندسبرگ مع أوليندورف وآخرين.

الحرب. وبدت براءته الظاهرة المخادعة وكأنها تريد أن تجنب أولئك الناس آلام تذكير واحد منهم الآخر بما يعنيه حقاً وما يستتر تحته من أهوال. وربما ظنوا أيضاً أن هذا المصطلح المقنع كاف لتغطية جريمتهم إذا ما رأَت الدلائل الثبوتية النور. والواقع أن معظم الزعماء النازيين في نورمبرج أصروا على إنكار علمهم بمعناه. وزعم غورنغ أنه لم يستخدم هذا التعبير قط لكن دعواه ما لبثت أن تبخرت في الهواء. ففي القضية التي رفعت ضد مارشال الرايخ السمين. كان من بين الوثائق المبرزة، توجيهات خطية أرسلها الى (هيدريخ) رئيس دائرة الأمن في ٣١ تموز ١٩٤١ أيام راحت فرق العمل الخاص (أنيزا تسغروين) تباشر أعمال الإبادة في روسيا بكل نشاط.

"[ومما جاء في تلك التعليقات] اني أخولك [والمقصود هيدريخ] بهذا، أن تقوم باتخاذ كل الإستعدادات الخاصة المتعلقة... بحل نهائي للمسألة اليهودية في تلك الأراضي الأوروبية التي تقع تحت السيطرة الألمانية... وكذلك أطلب منك أن تعرض عليّ بأسرع ما يمكنك لائحة تتضمن كل الإجراءات المتخذة قبل هذا في سبيل تنفيذ الحل النهائي المطلوب للمسألة اليهودية^(٦٣).

أدرك (هيدريخ) إدراكاً تاماً ماذا يقصد غورنغ باصطلاح (الحل النهائي)، لأنه كان هو نفسه قد استخدمه قبل عامين تقريباً في إجتماع سري عقده بعد سقوط بولندا مباشرة. وعيّن فيه الخطوة الأولى التي ستُتبع للحل النهائي. وتتضمن جميع كل اليهود في أحياء خاصة بالمدن الكبيرة ليسهل فيما بعد توجيههم من هناك الى مصيرهم المحتوم^(٦٤).

"والحل النهائي" الذي طُبّق فيما بعد هو ما احتل ذهن أدولف هتلر منذ أمدٍ طويل وما ظلّ يعلنه للملأ، حتى في الفترة التي سبقت الحرب. فقد جاء في خطبته التي ألقاها أمام الرايشتاغ يوم ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٩: "إن نجح رجال المال اليهود الدوليون في زج بلادنا مرة أخرى في أتون حرب عالمية فالنتيجة ستكون... القضاء المبرم على العنصر اليهودي في كل أوروبا".

وقال أنها نبوءة وكررها خمس مرات حرفياً في خطباته العلنية التالية. ولا فرق ثم في أن يكون هو الذي زج العالم في صدام مسلح لا "رجال المال اليهود الدوليون". وما يفهمه هو أن الحرب العالمية تدور رحاها الآن، وانها تتيح له الفرصة لتنفيذ مآربه في إبادة تامة. بعد أن فتح أصقاعاً شاسعة في الشرق، حيث يقطن معظم يهود أوروبا. وفي الوقت الذي بدأ غزو روسيا، كان قد أصدر أوامره بهذا الشأن. وما بات معروفاً في الاوساط النازية العليا "بأمر الزعيم في الحل النهائي"، يبدو

٦٣- ان الإشارة تحت عبارة الحل النهائي هي من المؤلف. وخطأ ترجمة السطر الأخير من هذه الرسالة جعل الكلمة الألمانية Endlösung تعني "الحل المرغوب فيه" في النسخة الإنجليزية. وكان القاضي الأمريكي (جاكسن) يجهل الألمانية لذلك ترك غورنغ الذي كان في أثناء إستجوابه المباشر يحاول التملص بإدعائه انه لم يستخدم هذا التعبير الفظيع [انظر الحاشية ٥٤]. وصاح يقول مرة "الأول مرة هنا في نورمبرج أعلم بهذه الإبادة البشرية المرعبة!". [مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٣ الص ٥٢٥-٥٢٦، وثائق نورمبرج ٧١٠-٧١١]. ان الترجمة الإنجليزية للسطر الأخير هنا تضيح المعنى كله. فكلمة (اندلاوسونج) الألمانية معناها (الحل النهائي) لا (الحل المرغوب فيه).
٦٤- انظر ما سبق.

أنه لم يُدون كتابةً، أو على أقل تقدير لم تصلنا منه نسخة مدونة، أو لم يعثر على واحدةٍ بين الوثائق النازية المستولى عليها حتى الساعة. والدلائل كلها تشير إلى أن الأمر أُبلغ شفويًا إلى غورنغ وهملر وهيدريخ على أغلب الاحتمالات، فأوصلوه بدورهم إلى مرؤوسيه في صيف وخريف ١٩٤١. وشهد عدد من الشهود في نورمبرغ أنهم "سمعوا به"، إلا أنه لم يشهد واحد بأنه أُطلع عليه، وهكذا أجاب (هانس لاميرس) رئيس دائرة مستشارية الرايخ العنيد كالشور عندما حوِّص في منصة الشهادة، إذ قال: "علمتُ أن أمراً أُصدره الزعيم، ونقله غورنغ إلى هيدريخ. وهذا الأمر أُطلق عليه اسم "الحل النهائي للمسألة اليهودية"^(٦٥). إلا أنه إدعى كما إدعى كثيرون غيره في مقعد الشهادة، إنه لم يدر في الحقيقة علامَ كان يدور وما هو الغرض منه حتى كشفت عنه هيئة إدعاء الحلفاء العامة في نورمبرغ^(٦٦).

في بداية ١٩٤٢ كان الوقت قد حان كما قال هيدريخ "لفض المشاكل الأساسية" المتعلقة "بالحل النهائي"، حتى أصبح تنفيذها ممكناً بالأخير للوصول بها إلى الخاتمة. ولهذا دعا إلى إجتماعٍ لممثلي مختلف الوزارات ومدراء دوائر الأمن السرية. ورؤوساء الحرس الأسود، في ضاحية فانسي Wannsee البرلينية الجميلة بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٢. وكان لمحاضر ذلك الإجتماع موقع مهم في بعض محكمات نورمبرغ التي تلت^(٦٧).

كان الموظفون الألمان المجتمعون واثقين من ربح الحرب. أو هي بحكم المنتهية وبأن ألمانيا ستبسط سلطانها المطلق عما قريب على كل أوروبا وبضمنها إنكلترا وإيرلندا رغم أنباء الإنكسارات المتوالية التي كان يُمنى بها (القيروماخت) في روسيا إذذاك. وبناء على هذا قال هيدريخ للمجتمعين البالغ عددهم خمسة عشر من كبار الموظفين "في مجال تطبيق هذا "الحل النهائي" لمشكلة يهود أوروبا، يوجد أحد عشر مليوناً منهم يشملهم الموضوع". وراح بعد ذلك يسرد الأرقام لكل البلدان الأوروبية. فبيّن أنه لم يبق من يهود بلاد الرايخ الأصلية غير (١٣١٨٠٠٠) من أصل ربع مليون في ١٩٣٩. لكن يوجد في جمهوريات الإتحاد السوفييتي خمسة ملايين، وفي أوكرانيا ثلاثة ملايين وفي حكومة عموم بولندا مليونان وربع مليون وفي فرنسا ثلاثة أرباع مليون، وفي إنكلترا ثلث مليون. وأوضح

٦٥- محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٣ ص ١٤١.

٦٦- في نيسان ١٩٤٩ حكمت محكمة عسكرية أمريكية في نورمبرغ على (لاميرس) بالسجن لمدة عشرين عاماً، وكانت تهمته الأساسية مسووليته عن المراسيم الصادرة ضد اليهود، لكن- كما كان الحال مع معظم المحكومين النازيين الذين خففت احكامهم السلطات الأمريكية الى نسب ضئيلة، فقد أنقصت مدة سجنه الى عشر سنوات ١٩٥١. وأطلق سراحه من سجن لاندسبرگ في نهاية ذلك العام بعد قضائه ست سنوات فقط من مدة حبسه. ومما هو جدير بالإشارة هنا، أن معظم الألمان (على الأقل بقدر ما يمثل برلمان ألمانيا الغربية لمشاعرهم لم يرضوا على الأحكام التي صدرت بحق شركاء هتلر، رغم أنها كانت خفيفة نسبياً). وقد سلم الحلفاء عدداً من هؤلاء إلى السلطات الألمانية فلم تحملهم هذه الدولة إلى المحاكم بتهمة، مع أن بعضهم كان منهما بالقتل الجماعي. وسرعان ما وجد طائفة منهم طريقه إلى الوظيفة في حكومة بون.

٦٧- محاكمات مجرمي الحرب ج ٨ الص ٢١٠-٢١٩ [وثائق-٢٥٨٦ NG].

الإستنتاجات هو وجوب القضاء على هذه الملايين الأحد عشر قضاءً تاماً. ثم أنه شرح الوسائل التي سيتم بها تنفيذ هذا الواجب الضخم.

"لأجل المضي في تنفيذ الحل النهائي، يجب علينا أن نأتي باليهود الى الشرق... ونشغلهم في فرق عمل كبيرة، على أن نفرق بين الجنسين. اليهود القادرون على العمل يؤتى بهم الى هذه المناطق ليستخدموا في أشغال الطرق وأمثال ذلك. وسيتناقص عددهم بصورة طبيعية نتيجة ذلك. أما من يبقى منهم حياً رغم ذلك، وبما أن هذه أقوى ظاهرة لشدة المقاومة فيهم، فيجب أن تُعالج على هذا الأساس... مادام هؤلاء يمثلون نموذجاً لقانون الإنتخاب الطبيعي، فيجب إعتبارهم أصغر جرثومة حياة يتركز عليها التكاثر اليهودي".

وبعبارة أخرى: ينبغي أولاً أن يُنقل يهود أوروبا الى المشرق المحتل، ثم يُشغلون حتى الموت. الأقلية العنيدة التي تبقى حية "تُباد بالقتل". ماذا عن ملايين اليهود الذين يسكنون في المشرق وهم الآن في قبضتنا؟ هنا ينبري الدكتور (يوزف بوهلر Dr. Josef Buehler) سكرتير الدولة وممثل حاكم بولندا العام بإقتراحه الناجز الجاهز. فقال يوجد مليونان ونصف مليون يهودي في بولندا في الوقت الحاضر، وهو "خطر كبير" لأنهم "حملة أمراض، وتجار السوق السوداء، زد على هذا أنهم لا يصلحون لأي عمل" وليس ثم مشكلة تتعلق بنقل هؤلاء المليونين ونصف المليون، فكلهم مجتمعون هناك. "وختم كلامه قائلاً: لدي إقتراح واحد، وهو وجوب حل المشكلة اليهودية في منطقتي بأسرع ما يمكن".

لقد كشف سكرتير الدولة الطيب عن نفاذ صبر شاركتة فيه الأوساط النازية العليا كابراً عن كابر حتى هتلر. ولم يكن يدرك واحد منهم في ذلك الزمن- في الواقع لم يدركوا حتى نهاية ١٩٤٢ بعد فوات الأوان، كم ستكون قيمة هؤلاء الملايين للرايخ الثالث في أعمال السخرة. كان جهلهم في تلك اللحظة قاصراً على أن تشغيل تلك الملايين من اليهود حتى الموت في أعمال الطرق الروسية قد يقتضى وقتاً طويلاً، وهذا ما لا يوده الألمان. لذلك وإحتزالاً لحياتهم وقبل إستنزاف طاقتها بالعمل، قرر هتلر وهملر إتخاذ وسائل أخرى أسرع للقضاء عليهم في كثير من الأحيان قبل البدء في تشغيلهم. واستخدمت وسيلتان أساسيتان أولاهما خططت قبيل غزو روسيا كما مرّ. (في صيف ١٩٤١) وهي وسيلة المجازر الجماعية في بولندا وروسيا انيطت بفصائل الإعدام السريعة (للأنيزاتسغروين)، فقضت على ثلاثة أرباع مليون.

وكانت تساور ذهن (هملر) وسيلة ثانية لتحقيق (الحل النهائي) عندما ألقى كلمة في جنرالات (إس. إس) في بوزن بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٤٣:

"... اريد أيضا التحدث اليكم بصراحة تامة حول أمر شديد الخطورة فيما بيننا يجب أن نتحدث فيه بكل صراحة في حين ينبغي لنا ألا نتكلم به علناً..... وأعني... القضاء على العنصر اليهودي... لاشك أن معظمكم يدرك مايعني وضع مائة جثة أو خمسمائه أو ألف إحداها الى جانب الأخرى. بالتخلص منها والبقاء في الوقت نفسه بشراً سوياً ذوي أدبٍ وخلقٍ (ودعك من الحالات الشاذة الناجمة عن

الضعف البشري)، هو ما يجعل مناً رجالات صليبي العود، وتلك هي صفحة مجدٍ في تاريخنا لم تكتب، ولا يمكن أن تُكتب قط...^(٦٨)

لاشك أن زعيم الحرس الأسود ذا النظارات، الذي كاد يُعْمى عليه لمشهدٍ عددٍ قليلٍ من يهود المشرق بينهم نساء، وهم يقتلون في سبيلِ إستمتاعه الخاص، سيجد في تشغيل ضباط الحرس الأسود المتقن لغرف الغاز في معسكرات الإبادة صفحة أكثر مجدداً في تاريخ ألمانيا ففي معتقلات الموت هذه حقق "الحل النهائي" أبشع مراحل نجاحه طراً.

-٧-

"معسكرات الإبادة"

كُلُّ معتقلات النازيين الرئيسية وعددها ينوف على الثلاثين كانت معسكرات قتل، مات فيها ملايين المعتقلين جوعاً وتعذيباً^(٦٩). ومع أن السلطات كانت تحفظ سجلات وفيات (لكل معسكر سجل موته الخاص: Totenbuch) إلا أنها ليست دقيقة أو كاملة، وكثير منها جرى إتلافه عندما أطبقت قوات الحلفاء المنتصرة عليها. ومن بين ما وصلنا جزء من (كتاب الموت) الخاص بمعسكر (ماتهاوزن)، وفيه (٣٥٣١٨) واقعة موتٍ للفترة المنحصرة بين كانون الثاني ١٩٣٩ ونيسان ١٩٤٥^(٧٠).

وفي نهاية عام ١٩٤٢ عندما مسّت الحاجة الملحة الى الأيدي العاملة المسخّرة، أمر هملر "بوجوب تقليص" نسبة الموت في معسكرات الإعتقال. وللنقص الذي ظهر في الأيدي العاملة ثارت ثائرتة لتقرير تسلمته دائرته، جاء فيه أن (٧٠٦١٠) من أصل (١٣٦٧٧٠) نزيلاً جديداً في معسكرات الإعتقال بين أشهر حزيران وتشرين الثاني ١٩٤٢ قد قضاوا آجالهم. كما أُعدم الحياة أثناء ذلك (٩٢٦٧) نزيلاً منهم، و"نقل" الى غرف الغاز (٢٧٨٤٦) نزيلاً، فلم يبق عدد كبير لتشغيلهم في الأعمال^(٧١).

لكن أعظم نجاح في مضمار "الحل النهائي" إنما حققته معسكرات الإبادة وأكبرها وأشهرها طراً كان معسكر (أوشويتز) بغرف غازه الجبارة الأربع ومحرقته المجاورة لها جعلت إستيعابه يفوق المعسكرات الأخرى بما لا يمكن مقايسته، كـ(تربلنكا Treblinka) وبلسن Belsen وسيبيبور Sibibor وخلصنو Chelmno،

٦٨- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٤ ص ٥٦٣ [وثائق نورمبرگ ١٩١٩-PS].

٦٩- يقدر (كوغون Kogon) العدد الهالك بـ (٧١٢٥٠٠٠) من أصل المجموع الكلي لنزلاء معسكرات الاعتقال البالغ (٧٨٢٠٠٠٠)، ولاشك أن في الرقم مبالغة كبيرة جداً [كوغون: جهنم بين النظرية والعمل] ص ٢٢٧.

٧٠- وبحسب رواية أمر المعتقل فرانز زييريس Franz Ziereis، بلغ المجموع الكلي (٦٥) ألفاً [المرجع السالف ج ٦، ص ٧٩١ ووثائق نورمبرگ ٣٨٧٠-PS].

٧١- المرجع السالف ج ٤ الص ٨١٢ و٨٣٢-٨٣٥ [وثائق نورمبرگ ٢١٧١-PS].

وكلها في بولندا. وكان ثمّ معسكرات إبادة أخرى أصغر من هذه بالقرب من مدن (ريغا و فيلينا، ومنسك وكاوناس ولثوف)، إلا أن الإبادة فيها كانت بالرصاص لا بالغاز.

ومرت فترة منافسةٍ وسباقٍ بين أمري الحرس الأسود، حول قابلية غرف غازهم على إرسال أكبر كمية من اليهود الى العالم الآخر بأسرع ما يمكن. وكانت السرعة عاملاً مهماً، ولاسيما في معسكر (أوشويتز). فقد ظل حتى النهاية يحقق أرقاماً قياسية مطردة الإرتفاع إنتهت بوصوله الى تسميم (٦٠٠٠) ضحية في اليوم الواحد. ومن أمري هذا المعسكر لفترة من الزمن (رودولف هويس) وهو مجرم سابق محكوم بجريمة قتل. شهد في نورمبرك بفعالية الغاز السام الذي يستخدمه. وتحقيقه التفوق على غيره في هذا المضمار^(٧٢).

قال: "إن (الحل النهائي) للمشكلة اليهودية كان معناه القضاء التام على كل يهود أوروبا. وفي حزيران ١٩٤١ صدر لي الأمر بإنشاء وسائل إبادة جماعية في (أوشويتز). في ذلك الزمن كان يوجد في حكومة عموم بولندا ثلاثة معسكرات إبادة وهي: بلسن وتربلنكا و ثولچيک .Wolzek

... زرت معسكر (تربلنكا) للإطلاع على كيفية إزهاق الأرواح فيه. واعلمني أمر المعسكر أنه أتم "تصفية" ثمانين ألف شخص خلال نصف عام، وأهم ما يشغل باله في الوقت الحاضر هو "تصفية" كل اليهود الموجودين الآن في الحي المخصص لهم بوارشو^(٧٣).... وكان يستعمل غاز أول أكسيد الكربون، ولم أجد وسائل سريعة جداً، لذلك إستخدمت مادة (الزايكلون - ب) Zyklon - B وهو حامض البروسيک Brusic البلوري. عندما أقمت بناية الموت في (أوشويتز) وكنا نسقطه الى غرفة الخنق من فتحة صغيرة ولايحتاج الى أكثر من فترة تتراوح بين ثلاث دقائق وعشر لقتل جميع من فيها. وهذا التفاوت يعود الى الأحوال الجوية. كنا نعرف متى تتم الوفاة لأن الصراخ ينقطع. إلا اننا في العادة ننتظر زهاء نصف ساعة قبل فتح الأبواب ورفع الجثث... بعد أن تُرفع الجثث يقوم فداثيون خصوصيون بخلع الذهب من

٧٢- ولد عام ١٩٠٠، وابوه بقال صغير في بادن- بادن Baden - Baden. ألح على ابنه أن يصبح قساً، فقد كان كاثوليكياً ورعاً، فلم يصغ اليه والتحق بالحزب النازي في ١٩٢٢. وفي السنة التالية إتهم بقتل معلم مدرسة، إدعى أنه ندد بـ(ليو شلاگيتير Leo Schlageter) وسبّه، وهو احد المخربين في الروهر أعدمه الفرنسيون وعدّه النازيون من شهدائهم، فحكم عليه بالسجن المؤبد. ثم أطلق سراحه في العفو العام الصادر في ١٩٢٨ والتحق بالحرس الأسود بعد سنتين. وفي ١٩٣٤ أصبح عضواً في فرقة رأس الموت (الجمجمة) التابعة للحرس الاسود، ومهمتها الأصلية حراسة معسكرات الإعتقال. وكان عمله الأول في هذه الوحدة بـ(داخا). وهكذا قضى معظم سني شبابه أولاً سجيناً وأخيراً سجاناً. وكان لايتورق قط وبمبالغة أحياناً عن الإعتراف بما إرتكب من قتل في شهادته أمام محكمة نورمبرك. وفي إفادته الموثقة باليمين لصالح الإدعاء العام. وقد سلّم فيمابعد الى البولنديين وحكم عليه بالموت وشنق في آذار ١٩٤٧ في أوشويتز موضع أشنع جرائمه.

٧٣- وهو عمل لم يتمكن من انجازه حتى ١٩٤٣ كما سنرى، بسبب العدد الكبير الذي ستمثله التصفية وبسبب الإنتفاضة المسلحة التي حصلت في الأخير.

الأسنان ونزع الخواتم. وقد حققنا تحسیناً في أسلوب (تربلنكا)، وهو أننا بنينا غرف غازنا لتسع لألفي شخص دفعةً واحدة. في حين كانت غرف غاز (تربلنكا) العشر لا تتسع الواحدة منها الى أكثر من مائتين."

وبعد ذلك شرح (هويس) كيف يتم إنتقاء ضحايا غرف الغاز من حيث أنه لا يقضى حالاً على كل القادمين الجدد. فبعضهم يحتاج اليهم لعمل السخرة في شركة (آي. جي. فارين) الكيميائية، وفي تشييد مصنع (كروب) حتى تعتصر منهم آخر صباية في قواهم، فيكونون متهيئين (للحل النهائي)... "لدينا طيبان من دائرة الإس إس. عينا لأوشويتز يقومان بفحص المعتقلين الجديد فحماً عابراً وهم يمرون أمامهما لإنتقاء اللاتقین بدنياً بمجرد نظرة، فمن يصلح للعمل يقاد الى المعتقل أما الآخرون فيؤخذون حالاً الى بنايات الإبادة. والأحداث الصغار السن يتم إهلاكهم دون إستثناء، لأن صغر سنهم يحول دون إستخدامهم في أي عمل".

ودأب (الهر هويس) على إدخال التحسينات في فن القتل الجماعي. "... وحققنا تحسیناً آخر على أساليب تربلنكا. وهو أن الضحايا في ذلك المعسكر يكادون يعرفون دائماً أنهم سيُسَمَمون بالغاز، ونحن في أوشويتز كنا نعمل على خداع الضحايا وإيهامهم بأن عملية تعقيم أبدان ستجري لهم. بالطبع كانوا يدركون نوايانا الحقيقية في كثير من الأحيان، مما ينجم عنه حوادث شغب، ويخلق لنا مصاعب. وفي أحيان كثيرة كانت الأمهات يخفين أطفالهن تحت طيات الثياب، إلا أننا كنا نرسل هؤلاء الصغار الى حتوفهم حال عثورنا عليهم بالطبع. وكان المفروض علينا أن ننفذ أعمالنا بالسر. إلا أن الرائحة الكريهة التي تصيب المرء بالغثيان من جراء الإستمرار في إحراق الجثث، وتنتشر في أجواء المنطقة الى مسافات، عرقت سكان المناطق المجاورة لنا بما يحدث هنا في أوشويتز."

وأوضح هويس أن قليلاً من "المعتقلين الخصوصيين" والظاهر أنهم أسرى الحرب الروس. كانوا أحياناً يُقتلون بمجرد زرق حقنة من (البنزين Benzine). وزاد يقول (وقد حُوّل أطباؤنا صلاحية كتابة شهادات وفاة إعتيادية ولهم أن يدرجوا أي سبب يريدون من أسباب الوفاة)^(٧٤).

ومن المفيد ان يُضاف إلى وصف (هويس) الوافي وصف مختصر مكمل لكيفية إجراء عملية الموت الجماعي في (أوشويتز)، كما نقلتها ألسن الحراس والمعتقلين الذين كتبت لهم الحياة.

إن انتقاء عمال السخرة من بين الذين سيُخنقون حالاً يتم على رصيف محطة القطار حالما يترك المعتقلون الجدد عربات الشحن المقللة عليهم مدة أسبوع بدون طعام ولا ماء، إذ كان يؤتى بعدد كبير

٧٤- ويكتب عادة "مرض القلب" وكوغون نفسه، الذي كان في بوخنفالده ثمانين سنين، يعرض بعض النماذج "... مات المريض بعد مضاعفات طويلة بتاريخ (كذا)، في الساعة (كذا). سبب الوفاة: ضعف القلب، مع مضاعفات من ذات الرئة" [كوغون: جهنم بين النظرية والتطبيق ص ٢١٨]. وقد ضرب صفحاً عن هذه الرسومات في أوشويتز عندما بدأ الخنق الجماعي بالغاز. وفي كثير من الأحيان لم تكن تُحصى حصيلة الموتى اليومية. [إفادة هويس: مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٦ الص ٧٨٧ - ٧٩٠ وثائق نورمبرگ PS ٣٨٦٨].

منهم من أماكن بعيدة مثل فرنسا وهولندا واليونان، ومع وقوع مشاهد تفتت القلوب وتثير المشاعر حين يُشرع بفصل النسوة عن أزواجهن والأطفال عن آبائهم. فلم يكن أحد من هؤلاء الأسارى (كما شهد هويس وأمن على صدق قول النزلاء الأحياء) ليذكر ما خبأ لهم القدر المحتوم. وكان بعضهم يُعطى بطاقات بريدية جميلة الزخرفة معنونة، ليذيلوها بتواقيعهم، حتى ترسل إلى اقربائهم في بلادهم، وقد كتبت عليها العبارة التالية: "نحن نعيش عيشة طيبة هنا. ولدنا عمل، ومعاملتنا جيدة ننتظر مقدمكم!".

وغرف الغاز نفسها والمحرقه التي تجاورها، لا تبدو للناظر عن كثب مواضع قتل مخفية. ومن المستحيل أن تكشف العين حقيقة أمرها من الخارج مهما بلغت من الدقة. ففي الطبقة العليا منها توجد أفاريز مخضوضرة مُعنتى بها مزروعة بمختلف الأزهار، وهناك لافتة مثبتة في المدخل كتب عليها "حمامات".

والضحايا الحسنو النية يتوهمون أنهم يؤخذون إلى الحمامات فعلاً لتُعَمَّ أبدانهم كما جرت العادة في كل المعسكرات الأخرى: والأنكى من هذا كله أنهم يسيرون إلى حوتفهم على إيقاع أنغام موسيقية عذبة! فثمّ موسيقى خفيفة والحق يُقال! إن بعض من كُتبت لهم الحياة يتذكرون جوقة موسيقية مؤلفة من "فتيات جميلات صغيرات يرتدين زياً موحداً يتألف من ثوب أبيض وفستان أزرق" أخترن من بين السجناء. تقوم هذه الفرقة الموسيقية أثناء إنتقاء ضحايا غرف الغاز بعزف ألحان مرحة من "الأرملة الطروب" و"حكايات هوفمان". ولاشيء من موسيقى بيتهوفن الحزينة الثقيلة، لأن مسيرات الموت في (أوشويتز) تتم على إيقاع أنغام مرحة مشرقة مقتبسة رأساً من الأوبرات الخفيفة الباريسية والفينينية. فعلى ألحانها يستذكر المرء أيامه الخوالي الأكثر سعداً ونزقاً. يُقاد الرجال والنساء والأطفال إلى غرف "الإستحمام" ويُطلب منهم أن يخلعوا ثيابهم إستعداداً لحمام رشاش. وفي بعض الأحيان يعطون مناشف. وما أن يجدوا أنفسهم داخل القاعة حتى يغلق الباب الكبير ثم يقفل قفلاً محكماً (وربما كانت هذه اللحظة أولى لحظات الشك في شذوذ ما يجري، حين يجدون أنفسهم زهاء ألفين وقد حشروا في غرفة واحدة كما يُحشر السمك الصغير في علبه مما يجعل الإستحمام أمراً من الصعوبة بمكان). وعلى سطح القاعة من الخارج حيث الأفاريز الأنيقة ومنابت الأزهار، التي تكاد تحجب أقماعاً هرمية كنبات الفطر وهي نهاية الهوائيات التي تخرج من قاعة الموت. يقف على إستعدادٍ بالقرب من رؤوس الهوائيات أفراد من رجال المعسكر لإسقاط بلورات (أزرق ألاميشيست لسيانيد الهيدروجين أو (زايكلون-ب). وهو يُنتج تجارياً للإستعمال بوصفه معقماً قوي المفعول، إلى أن وجد له (هويس) وجه إستعمال جديد وكان به معتزلاً فخوراً.

ويرقب المعتقلون وهم في ثكناتهم القريبة، كيفية إعطاء الإشارة للأفراد الواقفين على رؤوس

الهوائيات. حتى يسقطوا بلوراتهم القتالة في الفتحة، فيذكرون نداء العريف مول Moll إليهم: "والآن اعطوهم شيئاً يتلهون بمضغه! Na gib ihnen zu fressen!" ثم يقهقه ضاحكاً، وتسقط البلورات من ثقب الفتحات وتُسد بإحكام. وكان الجلادون يستطيعون متابعة ما يحصل في الداخل من خلال فتحات في الباب مغطاة بزجاج سميك: يشخص السجناء العراة بأبصارهم الى رشاشات الماء في السقف فلا يجدون أثراً فيها للماء، أو ربما تطلعوا الى الأرضية متسائلين عن سر عدم وجود منافذ لتصريف المياه القذرة. ويقتضي للغاز لحظات ليشتد مفعوله. لكن الحقيقة سرعان ما تنبج للسجناء ليدركوا أن مصدر الغاز هو ثقب الهوائيات، فيسيطر عليهم الرعب عادةً ويأخذون بالإبتعاد عن الأنابيب، ثم يسرعون ركضاً الى الباب الحديدي "حيث يتكدسون عليه جسداً فوق جسد ليتألف منهم هرم أزرق اللون ملطخ بالدماء، اذ تدفعهم غرائزهم إلى أن ينهش بعضهم بعضاً باسنانه ويسلخ جلده بأظافره حتى يلفظوا آخر أنفاسهم". ذلكم هو الوصف الذي أعطاه (رايتلنجر). وبعد عشرين دقيقة أو ثلاثين تتوقف تلك الكتلة اللحمية الهائلة العارية عن الرعشة الأخيرة، فتقوم شفاطات الهواء بسحب الغاز السام من الغرفة ويفتح الباب الكبير وتدخل فرقة (السوندر كومانداو Sonderkommando)، وهم من المعتقلين قُطع لهم وعد بإبقائهم في قيد الحياة ومنحهم القوت الكافي. مقابل قيامهم بتنفيذ أشنع جزءٍ من عملية الإبادة^(٧٥). ويبدأون عملهم بعد أن يضعوا على اوجهم أقنعة الغاز السام وينتعلوا أحذية مطاطية مع خراطيم مائية.

وإليك وصف راتلنجر: "وأول أعمالهم ازالة الدماء والإفرازات الجسمية قبل فصل الجثث المشتبكة في صراع الموت الأخير، ويقومون بهذا مستعينين بخطافات وحبال، وهو تمهيد للمرحلة الثانية الفظيعة مرحلة البحث عن الذهب، وقلع الأسنان وقص الشعر وكل هذه يعتبرها الألمان (مواد استراتيحية). ويلي ذلك نقل الجثث بعربات حديدية تجري فوق سكة، أو برافعة فيؤتى بها الى الأفران ثم تؤخذ البقايا الى طاحونة لطحن العظام المحترقة إلى ترابٍ ناعم، ثم يُعبأ الرماد في لوري، ليقدف به الى نهير سولا Sola^(٧٦)".

والمدونات تكشف عن التنافس التجاري بين رجال الأعمال للحصول على تعهد بناء منشآت الموت

٧٥- كانوا يرسلون الى غرفة الغاز ليهلكوا بانتظام وبلا إستثناء، ويؤتى بفرق عمل جديدة لاتختلف مصائرها عن سابقتها. ذلك لأن الحرس الأسود لم يكن يريد أن يبقي منهم أحياء يبوحن بما رأوا.
٧٦- هناك شهادة في محاكمات نورمبرج يُستفاد منها أن الرماد المتخلف من الجثث المحروقة كان يباع أحياناً كسماد. وقدم الإدعاء العام السوفيياتي وثيقة تثبت أن إحدى شركات دانزك أنشأت حوضاً يسخن بالكهرباء لعمل الصابون من الشحم البشري. ووصفة العمل هي: "١٢ باونداً من الشحم البشري و ١٠ لترات من الماء و ٨ أونسات حتى پاوند واحد من صودا الغسيل... تغلى معا ساعتين أو ثلاثاً ثم تترك لتبرد" [وثائق نورمبرج- الإتحاد السوفييتي-S. ص ١٩٧. مستنسخة].

ومحارق الجثث وإمداد المعتقل ببلورات الموت الزرقاء. وقد فازت شركة (ي. ت. توف وأولاده I. T. Topf) في (إيرفورت Erfurt) وهي منتجة أجهزة تدفئة، بتعهد بناء محرقات في أوشويتز. وإفتضحت حكاية مشروعها التجاري من مراسلات مطولة وجدت بين أوراق المعسكر. واليك رسالة مؤرخة ١٢ شباط تصلح نموذجاً:

"الى دائرة الإنشاءات المركزية للـ(إس. إس)، والشرطة في أوشويتز المحترمين.

الموضوع: المحرقتان (٢) و(٣) الخاصتان بالمعسكر.

نؤكد تسلمنا طلبكم الخاص بتجهيزكم بخمسة أفران ثلاثية مع مصعدين كهربائيين لرفع الجثث، ومصعد ثالث للحالات الطارئة وقد طلبتم أيضاً، موقداً عملياً لإيقاد الفحم وتأسيسات أخرى لنقل الرماد"^(٧٧).

وفي نورمبرغ عُرِضت مراسلات شركتتين أخريين متخصصتين في توريد أفران حرق الجثث. إن التخلص من الجثث على نطاق العدد الهائل في معسكرات إبادة النازيين، أثار روح المنافسة التجارية. فعرضت واحدة من أعتق الشركات في هذا المضمار من التجارة، تصاميمها الخاصة لمحرقة جثث تبنى في معتقل الـ(إس. إس) في (بلغراد). وتقدمت شركة صناعية أخرى كبيرة للغز بتعهد إنشاء فرن في معتقل نازي بمدينة (بلغراد)، مدعية بتفوق إنتاجها الصناعي وجودته على غيره.

"ولأجل تلقيم الجثث الفرن لا نقترح غير مذراة معدنية تدور على إسطوانات. وسيكون لكل فرن موقد طوله ٢٥ إنجاً وعرضه ١٨ إنجاً. لعدم إدخال التواييت. ولأجل نقل الجثث من مواقع الحزن الى الفرن نقترح استخدام عربات خفيفة تسير على عجلات وإننا نرفق بكتابتنا هذا الأبعاد بالمقياس الجاري تصميمه"^(٧٨).

وهناك شركة (سي. هـ. كوري C. H. Kori) حاولت هي أيضاً أن تنال تعهداً في (بلغراد). وبرهنت على طول باعها وخبرتها في هذا الميدان بسبق إنشائها أربعة أفران حرق لمعسكر (داخاو) وخمسة لمعسكر (لوپلن)، قالت "إنها حازت بها الرضاء التام عندما بدىء بإستخدامها".

"عطفاً على محادثتنا الشفوية بخصوص قيامنا بتجهيزكم بمعدات لبناء محرقة للجثث من الصنف البسيط، نقدم اليكم تصاميم لمواقد حرق الجثث الخاصة بشركتنا ومن النوع المحسن الذي يشتغل بالفحم. وقد حازت رضاء تاماً الى حد تأريخه.

واننا نقترح إنشاء فرني إحراق للبنية المصمة. على أننا ننصحكم بالقيام بإستفسارات أخرى لتتأكدوا من كفاية موقدين فقط لمتطلباتكم. ونحن نضمن فعالية مواقد الإحراق فضلاً عن

٧٧- محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٧ ص ٥٨٤.

٧٨- المرجع السالف ص ٥٨٥.

متانتها، بإستخدام أحسن المواد، ويفضل صناعتنا المتقنة جداً.
ويانتظاره إشارة أخرى منكم، سنكون دائماً في خدمتكم. هايل هتلر.

سي. ه. كوري. ك. م. ب. ه. (٧٩)

بالأخير برهنت تلك المجهودات العظيمة المبذولة في المشروع الألماني الحُر، بإستخدامه أفضل المواد، وأدقها وأتقنها، بأنها قاصرة تماماً عن انجاز ما يُطلب منها في ميدان إحراق جثث الموتى. ولم تعد المحرقة المحكمة الصنع والبناء قادرة على إستيعاب ما يقذفه فيها عدد من المعتقلات، وبخاصة معسكر (أوشويتز) في سنة ١٩٤٤. ولاغرو ولاعجب في هذا عندما بلغت حصيلة الجثث اليومية ستة آلاف (رفع هويس الرقم الى ستة عشر ألفاً). فمثلاً صُفي في هذا المعسكر ربع مليون أو ثلاثمائة ألف مجري يهودي خلال ٤٦ يوماً من صيف ١٩٤٤. حتى غرف الغاز نفسها أبدت قصورها في إستيعاب مثل هذا العدد، ولذلك اضطر الجلادون الى وصل ما إنقطع برجوعهم إلى الرمي الجماعي بالرصاص على طريقة فرق العمل الخاص. وتلقى الجثث في الخنادق وهناك تحرق حرقاً عادياً وكثيراً ما لاتأتي النار عليها فتبقى نصف محترقة وبعدها يهال عليها التراب ثم يُسوى بالجرارات. وفي آخر الأمر شكوا أمرو المعسكرات أن المحرقة فضلاً عن بطئها قد ثبتت "كثرة تكاليفها".

وكانت بلورات (الزايكلون- ب) القاتلة، تجهزها شركتان ألمانيتان إبتاعت حقّ الإنتاج من احتكار (فاربن) هما شركة (تيش وشتابينوف Tesh & Stabenow) من هامبورگ وشركة (دگيش Degesch) في (دساو Dessau). فالأولى كانت تقدم طنين من بلورات (السيانيد) شهرياً والثانية ثلاثة أرباع الطن. وقد عرضت قوائم شحن هذه الكميات على محكمة نورمبرگ.

وإدعى مديرا الشركتين أنهما لم يبيعا منتوجهما إلا لأغراض التعقيم والتبخير، ولم يدريا أنه كان يستعمل لقتل البشر. لكن دفاعهما كان ضعيفاً ولم يصمد أمام الحقيقة فقد عُثر على رسائل من (تيش وشتابينوف) تعرض فيها أنهما لاتكتفي ببيع بلورات الغاز، بل تبيع معدات التهوية والتسخين الخاصة بغرف الإبادة. زد على هذا شهادة (هويس) المعدوم النظر الذي لم يقف عند حد في إعتراقاته ما إن فضّل الإعتراف. فقد قال: لايمكن أن يكون مديرا شركة (تيش وشتابينوف) جاهلين بالغرض الذي تُستعمل له البلورات، مادامت قد أنتجت ما يكفي لقتل مليونين ونصف مليون إنسان. وإقتنعت بهذا محكمة عسكرية بريطانية نظرت قضية الشريكين (برونو تش Bruno Tesch) و(كارل فاينباخر Karl Weinbacher) وحكمت عليهما بالموت، وأعدما الحياة في ١٩٤٦. أما الدكتور (گيرهارد بيترز Peters Gerhard)، فقد خرج منها بحكم أخف بكثير أصدرته بحقه محكمة ألمانية وهو الحبس لمدة خمس سنين^(٨٠).

٧٩- المرجع السالف ص ٥٨٥ [وثائق نورمبرگ- الإتحاد السوفييتي- ٢٢٥] مستنسخة. C. H. Kori G. M. B. H.
٨٠- "تقارير قانونية عن محاكمات مجرمي الحرب" ج ١ ص ٢٨- ط. لندن ١٩٤٦. وهذا الكتاب هو خلاصة لإثنتي عشرة قضية ثانوية من مرافعات نورمبرگ. وردت في مجلدات (محاكمات مجرمي الحرب).

ساد الاعتقاد قبيل المحاكمات التي أعقبت الحرب أن القتل الجماعية إنما هي من عمل قلة نسبية من زعماء فرق الـ(إس. إس) الشديدي التعصب فحسب. إلا ان وقائع تلك المحاكمات لم تبق ذرة شك في مساهمة عدد من رجال الأعمال الألمان فيها. ولم يقتصر الأمر على (كروب) واحتكار شركات فاربن الكيماثي وأمثالها، بل تعداه الى مؤسسات تجارية أصغر منها شأنًا، عُدَّ أصحابها من أنبل الناس وأسماهم خلقًا، رجال هم أعمدة مجتمعاتهم ومثلها المحتذاة- ككل رجال الأعمال الطيبين في أي مكان!

تُرى كم من الناس الأبرياء المنكودي الحظ، ومعظمهم يهود وأسرى حربٍ سوفيتية وآخرون غيرهم، أزهقت أرواحهم عمدًا وغبيلة في معسكر واحدٍ فقط.. معسكر أوشويتز؟ لن يُعرف العدد بشكل دقيق قط. (هويس) أجمل الرقم في إفادته الموثقة باليمين بـ"مليونين ونصف مليون نفس قُتلت بالرصاص أو خُنقت بالغاز ثمَّ أحرقت جثثها وطُحنت عظامها رمادًا. يضاف الى هذا نصف مليون على الأقل ماتوا جوعاً أو مرضاً. فيكون المجموع العام ثلاثة ملايين". لكنه أنقص الرقم في محاكمته بـ(وارشو) وجعله (١, ١٣٥, ٠٠٠). أما الحكومة السوفيتية التي قامت بتحقيق في المعسكر بعد إستيلاء الجيش الأحمر الظافر عليه في كانون الثاني ١٩٤٥، فقد قررت الهالكين فيه بأربعة ملايين نفس. ويُستفاد من دراسة (رايتلنجر) المستفيضة، أنه لا يستطيع أن يرفع عدد من خنقهم الغاز فيه الى أكثر من ثلاثة أرباع المليون، ويقدره بحوالي (٦٠٠ ٠٠٠)، ثم يضيف إليه (الجزء المجهول) وهو ما يناهز (٣٠٠٠٠٠) أو أكثر ممن "قُعدوا"، ويقصد اولئك الذين قتلوا رمياً بالرصاص أو ماتوا جوعاً أو مرضاً وأي رقمٍ من هذه الأرقام، هو رقمٌ كبير مفزع^(٨١).

الجثث تُحرق، لكن حشوات الاسنان الذهبية تبقى. ثم تستخلص من الرماد هذا إن لم يسرقها الحرس الذي يشتغل بنقل أكداش الجثث^(٨٢)، ثم يُذاب ذلك الذهب ويُشحن مع المقتنى الثمين المنزوع من الموتى لإيداعها (بنك الرايخ). اذ جرى إتفاق سري بين (هملر) وبين الدكتور (فالترفونك) محافظه، يجري بمقتضاه إيداعها لحساب الـ(إس. إس). واخترع اسم (ماكس هايليكر) Max Hailiger لتسجيل المستودعات على حسابه وفي رصيده. هذه الغنائم الواردة من معسكرات الإبادة ضمت

٨١- هناك مصادر أخرى خلاف المصادر التي ذكرتها في اعتمادها ايهاا لكتابة هذا الجزء عن أوشويتز. من شهادة مدام فايان كوتورييه Vaillan Caturies وهي امرأة فرنسية كانت معتقلة فيه، محاكمات مجرمي الحرب الكبار ج ٦ الص ٢٠٣ - ٢٤٠، قضية رقم ٤ المعروفة بقضية معسكر الاعتقال وعنوانها الولايات المتحدة ضد (بوهل) ورفاقه في محاكمات مجرمي الحرب [محاكمة بلسن]- لندن ١٩٤٠ (غلبرت)، يوميات نورمبرگ، فيليب فريدمان [ذاك هو أوشويتز]، كتاب رايتلنجر الرائع [الحل النهائي. والأس. اس].

٨٢- وأحياناً تُقَلع الأسنان قبل الفتك بالضحايا. ويوضح تقرير سري بعث به مدير سجن (منسك) الألماني، أنه بعد ان إستخدم طبيب اسنان يهودي "راح كل اليهود يزولون جسور أسنانهم وحشواتهم وأكسيتها الذهبية أو يكسرونها بناءً على أوامره قبل القيام (بالعمل الخاص) بساعة أو إثنين دائماً. وذكر مدير السجن ايضاً ان (٥١٦) روسياً قد جرى قتلهم في هذا السجن خلال ستة أسابيع في ربيع ١٩٤٣، منهم (٣٣٦) نُزِع ذهب اسنانهم قبل قتلهم [مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٨ ص ٢٠٨ وثائق نورمبرگ ١٣٥ TR].

خلاف الأسنان الذهبية، ساعات ذهبية واقراطاً وخواتم وعقوداً وحتى إطارات العيونات. فقد أغري الضحايا بإصطحاب أغلى ما يملكونه الى أماكن "إعادة إسكانهم"، ارض الميعاد الجديدة. ولذلك وُجد في المستودعات مجموعات من الحلبي لاسيما الألماس والكثير من أنية الفضة، وكان ثمّ حزم كبيرة من أوراق النقد.

والحق يُقال أن بنك الرايخ غصّ بالمودوعات المسجلة بإسم (ماكس هايليكر) لكثرتها، ولم تعد خزائنه تستوعبها بمجيء عام ١٩٤٢. وحاول مدراء البنك الشديدو الحرص على الريح تحويلها الى نقد حقيقي والتخلص منها بيعاً بتصريفها في دكاكين الرهون البلدية. وهناك رسالة من بنك الرايخ الى أحد تلك الدكاكين مؤرخ في ١٥ أيلول بنوه (بالشحنة الثانية) ويبدأ بعبارة (نودع اليكم الحاجات الثمينة التالية راجين تصريفها بالشكل الذي يضمن خير منفعة ممكنة). والقائمة طويلة دقيقة التفاصيل تحوي (١٥٤) ساعة يد ذهبية و(١٦٠١) قرط ذهبي و(١٣٢) خاتماً الماسيا و(٧٨٤) ساعة جيب فضية و(١٦٠) طقم أسنان، بعضها مكسو بالذهب). وفي بداية ١٩٤٤ غصّ حانوت رهون برلين بهذا السيل المتدفق من تلك البضائع المسروقة، وأبلغ بنك الرايخ بأنه لا يستطيع قبول المزيد منها. وعندما اجتاحت جيوش الحلفاء ألمانيا إكتشفت أجزاء من تركة (ماكس هايليكر) في بعض مناجم الملح المهجورة، حيث أخفى النازيون جانباً من سجلاتهم ومنهوباتهم. وهو كفيل بماء أضخم ثلاث خزائن من فرع بنك الرايخ في (فرانكفورت)^(٨٣).

هل أدرك رجال البنك مصدر تلك المودوعات الفريدة في بابها؟ زعم مدير دائرة المعادن الثمينة في بنك الرايخ أمام محكمة نورمبرج بأنه بدأ هو وزملاؤه يلحظون ورود العدد الكثير من الشحنات من (لويلن وأوشويتز)، وقال: "كنا نعلم جميعاً أن هذين المحلين هما موقعا معسكري إعتقال، وذهب الاسنان لم يظهر في المودوعات إلا عند ورود الشحنة العاشرة في شهر تشرين الثاني ١٩٤٣، ثم تكاثرت كمية هذا النوع من الذهب بشكل غير اعتيادي"^(٨٤).

وفي نورمبرج ايضاً إنبرى (اوسفالد پوهل) السبيء الصيت رئيس الدائرة الإقتصادية في ال(إس. إس)، الذي تولى أعمال منظّمته المالية وصفقاتها التجارية، ليبيّن ان الدكتور (فونك) وموظفي بنك الرايخ ومديره هم على علم تام بمصادر هذه الحاجات التي يحاولون رهنها. وشرح بشيء من التفصيل (الإتفاق التجاري الذي تم بين (فونك) وال(إس. إس)، بخصوص إيداع الحاجات الثمينة المنزوعة من جثث الموتى في بنك الرايخ). واستذكر محادثة مع نائب رئيس بنك الرايخ الدكتور (إميل بوهل)، قال: "في هذه المحادثة زال كل شك في أن الحاجات التي سُرسل الى البنك [مصدرها] اليهود الذين تمت إبادتهم في معسكرات الإعتقال، وهذه الحاجات هي خواتم وفتحات وساعات وعيونات وسيئاتك ذهب وحليّ ودبابيس وحشوات اسنان ذهبية وماشاكل..."

٨٣- مؤامرة النازيين وعدوانهم، الملحق أ، الص ٦٧٤-٦٨٢ [وثائق نورمبرج PS ٣٩٤٥ و PS ٣٩٤٨ و PS ٣٩٥١].

٨٤- المرجع السالف ص ٦٨٢ [وثائق نورمبرج PS ٣٩٥١].

وذكر (بوهل) ان الدكتور (فونك) دعا في احدى المناسبات أعضاء لجنة تفتيش قامت بجولة تفقدية في خزائن بنك الرايخ، حيث كُنزت فيها الحاجات الثمينة (من موتى اليهود)، الى مأدبة عشاء مبهجة دار فيها الحديث حول المصادر الغريبة التي جاءت منها هذه الأسلاب^(٨٥).

-٨-

"الگيتو" في وارشو لم يعد له أثر!

علّق أكثر من شاهد عيانٍ واحدٍ على روح الإستسلام التي كان يستقبل بها الكثير من اليهود حتسوفهم في غرف الغاز النازية وفي حفر الموت الكبيرة، التي كان يقودهم اليها رجال (الآي٤٣زاتسگروين). إلا أن اليهود لم يخضعوا كلهم الى قضاء الجلادين فيهم يمثل هذا الإستسلام وبصورة دائمة. ففي ربيع عام ١٩٤٣ وقف زهاء ستين ألفاً منهم صفاً واحداً وأسندوا ظهورهم الى الجدران في منطقة اليهود بوارشو، وكانوا كل ما تبقى من أربعمئة ألف، سبق جمعهم في هذه البقعة كما تُجمع المشية في ١٩٤٠، ثم إستداروا نحو جلاديهم النازيين ليقاتلوهم قتالاً مريباً. وربما كان وصف ضابط ال(إس. إس) الصلف الذي تولى أخماد هذه الإنتفاضة^(٨٦) في حي اليهود بوارشو يفوق كل ما كُتب عنها دقة وشناعة. هذا الألماني يُدعى (يورگن شتروب Juergen Stroop) زعيم فرقة في ال(إس. إس)، وميجر جنرال (أمير لواء) شرطة. وقد وصل اليينا سليماً كاملاً^(٨٧) تقريره الرسمي ذو العبارة الفصيحة المصحّف بغلافٍ جلدي، مملوءً بالصور مطبوعاً بالآلة الكاتبة على خمس وسبعين صحيفة من الكاغد الكتاني الفاخر السميک مصدراً بالعنوان "الگيتو في وارشو لم يعد له أثر"^(٨٨).

في نهاية خريف عام ١٩٤٠، بعد مرور عامٍ واحدٍ على إحتلال النازيين بولندا، جمع ال(إس. إس) زهاء أربعمئة ألف يهودي ووضعهم داخل سورٍ عالٍ عزلهم عن باقي مدينة وارشو في منطقة يبلغ طولها حوالي ميلين ونصف وميل وعرضها ميلاً واحداً تقريباً. وهي الرقعة التي تحيط بالحي اليهودي القديم للقرن الوسطى ويستوعب عادة مائة وستين ألف ساكن. ولذلك ضاقت الرقعة بالآلاف

٨٥- حكم على الدكتور (فالتر فونك) في نورمبرگ بالسجن مدى الحياة.

٨٦- ان جون هرسي John Hersey في قضيتته "الجدار The Wall" اعتمد على المصادر اليهودية. إن هذه القصة ملحمة رائعة لتلك الإنتفاضة المسلحة.

٨٧- لكن صاحبه شتروب لم يسلم، إذ قبض عليه بعد الحرب وأحيل الى محكمة عسكرية أمريكية بتهمة قتله رمياً بالرصاص عدداً من الرهائن في اليونان. فحكمت عليه بالموت في داخاو في ٢٢ آذار ١٩٤٧. ثم سلّم الى السلطات البولندية ليحاكم على إبادته اليهود في حي وارشو وحُكم عليه بالموت ثانية وشنق في موضع جريمته في ٨ أيلول ١٩٥١.

٨٨- النص في المرجع السالف ج ٣ الص ٧١٩- ٧٧٥ [وثائق نورمبرگ ١٠٦ PS].

الأريعمائة إلا أن هذا أخف المصاعب. فقد رفض الحاكم العام (فرانك) أن يخصص طعاماً يكفي لسد رمق نصف هذا العدد. ومنعوا من مغادرة الرقعة التي يكتنفها الجدار العالي والا عرضوا أنفسهم للرصاص دون إنذار ولم يكن لديهم من عمل غير مصانع قليلة للإنتاج الحربي داخل السور يشرف على إدارتها (الغيرماخت) ورجال الأعمال الألمان المشعرون المفترسون الذين يعرفون كيف يكسبون الأرباح الطائلة من إستخدام عمل السخرة. وحاول مائة ألف يهودي على أقل تقدير أن يبقوا نسמת الحياة في جسومهم بالعيش على طاس واحد من الشوربا يومياً كثيراً ما يسلق فيه القش الذي تنزل لهم عنه صدقة الآخرين وشفقتهم، فكان نضالاً فاشلاً في سبيل الحياة.

إلا أن سكان الحي لم يموتوا جوعاً أو مرضاً بالسرعة التي تناسب (هملر). فأمر في صيف ١٩٤٢ أن يُجلى يهود وارشو هؤلاء قاطبة "لأسباب تتعلق بالأمن". وفي ٢٢ تموز بدأت عملية "إعادة إسكان" عظيمة. ونُقل بين هذا التاريخ و٣ تشرين الأول ما بلغ مجموعة (٣٢٢، ٣١٠) شخصاً إلى محل "السكنى الآخر" كما يقول (شتروب)، أعني إلى معسكرات الإبادة ومعظمهم لقي مصيره المحتوم في غرف غاز (تربلنكا).

ومع ذلك لم يرض (هملر). وعندما قام بزيارة مفاجئة لوارشو في كانون الثاني ١٩٤٣ ووجد ستين ألف يهودي مازالوا أحياء في (الگيتو)، أمر أن تتم عملية "إعادة الإسكان" في ١٥ شباط بشكل نهائي، لكن التنفيذ بدأ عسيراً. ومما زاد في مهمة ال(إس. إس) تعقيداً هو الشتاء القاسي وإفتقارهم إلى القطارات الضرورية لنقل آخر دفعة من (المهجرين) إلى مصائرهم، والسبب يعود إلى أن كارثة ستالينغراد وماتلاها من تفهقر الجيش في جنوب روسيا أدت إلى دفع تعزيزات وإمدادات للجبهة وإعطاء الأسبقية لها على خطوط النقل. كذلك أبلغ (شتروب) أن اليهود يقاومون عملية التصفية النهائية "بكل ما في حوزتهم من وسائل". لولم يتسنّ تطبيق أمر (هملر) إلا بحلول الربيع وقرر تنظيف الحي "بعمل خاص" في ثلاثة أيام فقط. لكنه لم يفلح إلا بعد أربعة أسابيع كما تبين له.

إن نقل ثلاثمائة ألف يهودي سهّل على الألمان تقليص رقعة الحي المسوّر. ووجه جنرال الحرس الأسود (شتروب) دباباته ومدفيعيته وباصقات لهبته وفصائل نسفه إلى تلك الرقعة التي لا تزيد مساحتها عن (١٠٠٠ × ٣٠٠ يارد) في صبيحة ١٩ نيسان ١٩٤٢. ومع ضيق الموقع، فقد كان كثير الزوايا والخبايا والسردايب وأنفاق تصريف المياه، التي حولها اليهود البيأسون إلى مواضع منيعة مستحكمة. وكانوا قليلي السلاح، عدد من المسدسات والبنديات، وعشرة إلى عشرين مدفعاً رشاشاً هربت خفية إلى الداخل وقنابل يدويه صنعوها بانفسهم - وعقدوا العزم على إستخدام هذا السلاح في صبيحة ذلك اليوم من نيسان. لأول مرة وآخر مرة في تاريخ الرايخ الثالث يقف اليهود وقفة نزال أمام مضطهدهم النازيين ويدهم السلاح. كانت تحت أمرة شتروب (٢٠٩٠) رجلاً نصفهم تقريباً من الجنود النظاميين أو ما يدعى (Waffen-S. S) والباقي من شرطة الحرس الأسود، معزز بحوالي (٣٣٥) متطوعاً ليتوانياً وأفراد من الدرك البولندي ورجال الإطفاء، إلا أنهم اصطدموا

بمقاومة لم يتوقعوها في اليوم الأول: " [جاء في تقرير الجنرال شتروب الأولي الذي أتبعه بعدد كبير من التقارير اليومية بالتتالي] .. ماكادت العملية تبدأ حتى جابهنا اليهود والشقاة بنارٍ شديدة مركزة. وأصيبت الدبابة والسيارتان المصفحتان (بكوكتيل مولوتوف)... وإضطررنا الى الإنسحاب بسبب الهجوم المضاد الذي شنه العدو".

وجدد الألمان هجماتهم لكنهم وجدوا النجاح عسيراً.

"في حوالي الساعة ١٧٣٠، إصطدنا بمقاومة عنيفة جداً من مجموعة أبنية. وفتحت علينا نار مدفع رشاش. تمكنت فصيلة فدائية خاصة من دحر العدو، إلا أنها لم تستطع وضع يدها على المقاومين. اليهود والمجرمون كانوا يواصلون المقاومة من سرداب الى سرداب ويفلتون في آخر لحظة... خسائرنا في الهجوم الأول اثنا عشر رجلاً".

وإستمرت الحال على هذا المنوال في الأيام القلائل الأولى، والمدافعون يتفقهرون أمام هجوم الدبابات بسلاحهم التافه وينسحبون من أمام باصقات اللهب ونار المدفعية، إلا أن مقاومتهم لم تهن ولم يستطع الجنرال (شتروب) ان يفهم لماذا لاتستسلم "هذه النفاية من البشر المنحط" (كما وصفهم في تقريره) وتخضع لعملية تصفيتهم!

" [كتب يقول] إتضح خلال أيام قليلة أن اليهود ليست لديهم أي نيةٍ لإعادة إسكانهم طوعيةً بل عقدوا العزم على مقاومة الجلاء... وفي حين إستطعنا خلال الأيام الأولى القبض على عدد لا بأس به منهم اليهود الجنباة بطبعهم فقد زادت الصعوبات أكثر فأكثر في القبض على هؤلاء الشقاة خلال النصف الثاني من العملية. وتتوالى علينا فصائل صدامية تتألف من عشرين الى ثلاثين رجلاً يصحبهم عدد مماثل من النساء فيؤججون نار معركة جديدة".

وذكر (شتروب) أن النسوة ينتمين إلى الخالوتزيم Chalutzim وقد إعتدن "إطلاق مسدساتهن بكلتا يديهن. وكذلك كذف القنابر اليدوية التي كن يخفينها في صدورهن" Bloomers وفي اليوم الخامس من المعركة أصدر هملر الذي فرغ صبره وثار تائرتة، أمراً لشتروب (بتمشيطة) الحي "بأقصى ما يمكن وبشدة لاتقل".

" [وكتب شتروب في تقريره الأخير] وعند ذلك قررت تدمير الحي اليهودي برمته بإشعال النار في كل مجمع بنايات".

ثم وصف ما تبع ذلك: "كانوا يبقون في البنائيات المحترقة حتى تدركهم النار ويقذفون بأنفسهم من حالق خشية أن تأكلهم النار وهم أحياء ويسقطون على الأرض من الطوابق العليا... ويحاولون رغم كسور عظامهم ان يزحفوا الى البنائيات التي لم تنوشها النار عبر الشارع... ورغم خطر إحتراقهم احياء، فكثيرا مافضّلوا العودة الى اللهب على الوقوع في أيدينا".

أمر غير مفهوم ابداً لرجلٍ من صنف شتروب. تفضيل الرجال والنساء الموت إحتراقاً وهم يحاربون، على الموت الهادي في غرف الغاز ذلك لأنه كان يشحن الأسرى ممن لم يقتلهم الى (تربلنكا). وفي

٢٩ نيسان بعث برسالة تلفونية الى مقر القيادة العامة للـ(إس. إس) يذكر فيها أسره (٢٧٤٦٤) يهودياً.

"سأحاول تأمين قطارٍ الى ت - ٢ [تريلنكا] غداً. وإلا ستتم التصفية هنا غداً." وكثيراً ما تمت "التصفية" موقعياً. في اليوم التالي أبلغ (شتروب رؤوساه: "جرُّ ألف وثلاثمائة وثلاثون يهودياً من إستحكاماتهم وقضي عليهم في الحال (قُتل ٣٦٢) في ساحة المعركة)" ولم "يُخلَّ" إلا ثلاثون اسيراً.

بمشاركة الثورة على ختامها لجأ المدافعون الى أقنية تصريف المياه التحتية وحاول (شتروب) إرغامهم على الخروج يدفع الماء وملء الأقنية الرئيسية، إلا أنهم استطاعوا إيقاف اندفاع المياه. وفي أحد الأيام ألقى الألمان قنابل دخان الى الأقنية من الفتحات الواسعة المائة والثلاث والثمانين، إلا أن شتروب كتب حانقاً، إنهم فشلوا في "الوصول الى النتائج المتوخاة".

لم يكن ثمَّ شك في النتيجة الختامية. وظل اليهود المحاصرون شهراً كاملاً يقاتلون قتالاً مستميتاً بشجاعة جنونية وإن وصفها (شتروب) في أحد تقاريره اليومية وصفاً مغايراً بشكواه من "وسائل القتال الماكرة، والحيل التي إستعملها اليهود والعصابات". وفي ٢٦ نيسان كتب يقول أن عدداً كبيراً من المدافعين أصيب بالجنون من فرط الحرارة والدخان والإنفجارات.

"أحرقت خلال اليوم عدة مجمعات من البنايات حرقاً تاماً، وهذه هي الطريقة الوحيدة والأخيرة لإرغام تلك النفاية من البشر المنحط على الخروج من المخابيء."

وكان اليوم الأخير السادس عشر من أيار وفي ليله أرسل شتروب آخر تقارير الميدان اليومية. "قُضي على مائة وثمانين يهودياً وقاطع طريق وبشر منحطٌ ولم يعد للحى اليهودي العتيق بوارشو أي وجود. إن العملية الواسعة النطاق قد إنتهت في الساعة ١٥، ٢٠ بنسف كنيس لوارشو...المجموع الكلي لليهود الذي تصدينا له (٥٦٠٦٥) ويشمل اليهود الذين قبض عليهم واليهود الذين يمكن البرهان على هلاكهم."

وبعد أسبوعٍ طُلب منه إيضاح الرقم، فأجاب: "من المجموع الكلي المقبوض عليه البالغ (٥٦٠٦٥) قُضي على (٧٠٠٠) في الحى اليهودي السابق أثناء العملية الواسعة، وهلك (٦٩٢٩) بنقلهم الى (تريلنكا). وبذلك يبلغ مجموع الهالكين (١٣٩٢٩). وإضافة الى هذا قُضي على عدد يتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف بالمتفجرات أو الموت حرقاً."

لم يكن حساب الجنرال شتروب واضحاً تماماً، لأن تقريره يهمل ذكر مصير (٣٦٠٠٠) شخص، لكن ليس ثمَّ شك في أنه كان صادقاً في ما ذكره في تقرير الأخير الأنيق العبارة والتجليد بأنه قبض على "مامجموعه (٥٦٠٦٥) يمكن البرهان على هلاكهم أجمعين". لاشك أن صافي الحساب في غرف الغاز وهي المسؤولة الستة والثلاثين ألفاً.

وزعم (شتروب) ان خسائر الألمان بلغت ستة عشر قتيلاً وتسعين جريحاً، وربما كان الرقم الحقيقي

أعلى من هذا بكثير لطبيعة قتال المنازل الوحشي الذي وصفه الجنرال نفسه بتفصيلٍ شائق. إلا أن الرقم عدلٌ وقُلل منه لثلاثي ثلثي مشاعر (هملر) الحساسية الرقيقة. وختم شتروب تقريره بأن الجنود والشرطة الألمان "انجزوا واجبههم دون ان يعتريهم الكلال وبروح زمالة مخلصه ووقفوا معاً نموذجاً يحتذى به للجنود".

مضى "الحل النهائي" يجرّ أذياله على أوروبا الى آخر ساعة من ساعات الحرب. فكم ذُبح من اليهود ياترى؟ بقي الرقم موضع أخذٍ وردٍ. وبحسب قول شاهدين من الـ(إس. إس) في نورمبرج، إن المجموع العام هو بين خمسة ملايين وستة، كما قدره واحد من كبار خبراء النازيين في الموضوع، وهو (كارل أدولف إيخمان Karl Adolf Eichmann) رئيس الدائرة اليهودية في شرطة الكشتاپو، الذي قام بتنفيذ (الحل النهائي) تحت إشراف مبدعه ومطبقه الباطش السفاح هيدريخ^(٨٩). والرقم الذي ورد في لائحة إتهام نورمبرج (خمسة ملايين وسبعمائة ألف) هو مقارب للحساب التقديري الذي توصل اليه المؤتمر اليهودي العالمي. واستنتج رايتلنجر في دراسته الضخمة (للحل النهائي) أن الرقم الحقيقي يقلّ بعض الشيء، وقد قدر المجموع الكلي بما يتراوح بين (٤١٩٤٢٠٠) و(٤٥٨١٢٠٠)^(٩٠).

في العام ١٩٣٩ كان يوجد زهاء عشرة ملايين يهودي في المناطق التي تحتلها قوات هتلر. وبأى تقدير فمما لا يرقى اليه الشك أن نصفهم تقريباً هلكوا بأيدي الألمان. هذا هو الأثر الأخير والشمس الهائل المدفوع لأفكار جنونية ملتاتة إحتلت رأس الدكتاتور النازي أيام عيشته المتشردة زمن الشباب في فيينا، والتي أوحى بها أو شارك فيها كثير من أتباعه الألمان.

-٩-

التجارب الطبية

جرت في حياة "النظام الجديد" القصير العمر ممارسة بعض التجارب والإختبارات من قبل بعض الألمان بدافع سادي بحت، لادفاع الشهوة الى القتل الجماعي. وخبير علم النفس الجنائي ربما يجد فرقاً بين الإنحرافين، وإن كانت النتيجة النهائية للإنحراف الأول لا تختلف عن نتيجة الإنحراف الثاني إلا بعدد الموتى.

والتجارب الطبية النازية تقوم مثلاً على هذه السادية، ذلك لأن إستخدام نزلاء معسكرات

٨٩- ذكر احد أعوان إيخمان عنه قوله قبيل الإنهيار الألماني انه "ليقفز الى سعي جهنم وهو ضاحك السن هانئاً لشعوره بأن ضميره المثقل بخمسة ملايين نفس بشرية إنما هو مصدر راحة عظيمة جداً له." [محاكمات مجرمي الحرب الكبار: ج ٤ ص ٣٧١]. لقد فرّ (إيخمان) من معتقل حبس أمريكي سنة ١٩٤٥. [ملاحظة: أثناء طبع هذا الكتاب أعلنت اسرائيل أنها ألقت القبض عليه. وقد حوكم فيها ووجد مذنباً وحُكم عليه بالموت. وفي ١٩٦٢ (شباط) قدم إستئنافاً للمحكمة].

٩٠- رايتلنجر: (الحل النهائي) الص ٤٨٩ - ٥٠١، يحلل الكاتب في مؤلفة عمليات الإبادة لكل دولة على حدة.

الإعتقال وأسرى الحرب بمثابة خنازير غينية بشرية لا يحقق من منفعة للعلم إلا النزر التافه، إن لم نقل أنه لا يحقق شيئاً بالمرة. وتلك هي حكاية هولٍ مرعبةٍ لا تشرف مهنة الطب الألماني مطلقاً. فمع إن تلك التجارب" أجراها عدد يقل عن المائتين من ادعياء الأطباء القتلة "ولو كان بعضهم يحتل مراكز رفيعة في عالم الطب"، فعملهم الإجرامي هذا كان معروفاً لدى آلاف من مشاهير الأطباء في الرايخ لم يرفع واحد منهم صوته بأي إحتجاج علني على ما يجري^(٩١).

من مَقَاتل هذا الميدان لم يكن اليهود الضحايا الوحيديين، لأن الأطباء النازيين إستخدموا أسرى الحرب السوفييت ونزلاء معسكرات الإعتقال البولنديين نساءً ورجالاً بل امتدت ايديهم الى النزلاء الألمان. وتجاربهم متنوعة لا تدخل تحت حصر، فمن وضع السجناء في غرف ضغطٍ واخضاعهم الى فحوص الإرتفاعات العليا حتى ينقطع تنفسهم، الى حقنهم بمقادير قتالة من جرثيم التيفوس واليرقان. إلى إجراء تجارب "الانجماد" عليهم بوضعهم في جمدٍ من الماء، أو بتعريضهم عراة الأبدان الى الثلج في العراء حتى يموتوا انجماداً. الى تجريب الرصاص السام في جسمهم، إلى إستنشاقهم غاز الخردل المميت وهكذا... وفي معسكر اعتقال رافنسبروك النسائي كانت مئات من السجنيات البولنديات (عُرفن آنذاك باسم "الفتيات الجُردان") تُحدّث في اجسادهن جروح لكنكرينة الغاز السام، بينما يجري على أخريات منهن تجارب في (تطعيم العظام). وفي (داخاو وبوخنفالده)، أنتقي طائفة من العجريات (الكاوليات) ليجد المجربون كيف وبأية صورة يستطعن الحياة في ماء الملح. وجرت تجارب إخصاء وتعقيم بنطاق واسع في عدة معسكرات إعتقال وبمختلف الأساليب على الرجال والنساء. وقد شرح السبب في هذه التجارب طبيب ال(إس. إس) أدولف پوركورني Adolf porkorny برسالة بعث بها الى (هملر) بهذه المناسبة، قال "إن العدو يجب ألا يُكتفى بقهقهه بل بإبادته". فإذا تعذرت إبادته فيجب أن يحال دون تكاثره بالتناسل (إن الحاجة الى عمل السخرة في الأيام الأخيرة من الحرب، جعل هذه التجربة أمراً لا فائدة فيه - كما مر بنا). في الواقع أخبر الدكتور (پوركورني) رئيسه هملر بأنه يعتقد بتوصله الى اكتشاف الوسائل الناجعة لهذه الغاية وقال ان نبتة (كالاديوم سيكونيم Caladium Sequinum) تحدث عقماً تاماً دائماً. وكتب هذا الطبيب الخبير الى زعيم ال(إس. إس):

"إن الفكرة، فكرة امكان إخصاء ثلاثة ملايين شيوعي هم الآن في الأسر الألماني بحيث

٩١- ولم يشذ عن هذا حتى الدكتور فرديناند ساوربروخ Dr. Ferdinand Sauerbruch أشهر جراحي ألمانيا طراً، وإن اصبح أخيراً من أعداء النازية وإنضم الى المؤتمرين بها وساهم مع المقاومة. جلس (ساوربروخ) ينصت الى محاضرة في الأكاديمية الطبية العسكرية بمدينة برلين، ألقاها في أيار ١٩٤٣ طبيببان قاتلان من أسوأ الاطباء صيتاً في هذا الميدان هما كارل غيبهاردت Karl Gebhardt وفريتز فيشر Fritz Fisher في موضوع "كنكرينا الغاز السام" ونتائج تجاربها على السجناء. وكان تعليق (ساوربروخ) الوحيد حول الموضوع هو ان الجراحة أفضل من السلفانيلانيد Sulfanilamide!. وقد حُك على البروفسر غيبهاردت بالموت في ماعرف "بقضية الأطباء"، وُسُنق في ٢ حزيران ١٩٤٨، اما الدكتور فيشر فقد حُك عليه بالسجن مدى الحياة.

يكونون صالحين للعمل، عاجزين عن الإخصاب في الوقت نفسه، إنما تفتح أمامنا آفاقاً شاسعة"^(٩٢).

وتمّ طبيب ألماني آخر وجد أمامه "مطامح شاسعة الآفاق" هو الأستاذ أوغست هيرت Prof. August Hirt مدير معهد التشريح في جامعة (ستراسبورغ Strassbourg) وكان ميدان تجاربه الخاص يختلف بعض الشيء عن ميادين تجارب الآخرين شرحها في رسالة كتبها في عيد ميلاد ١٩٤١ إلى جنرال ال(إس. إس) الفريق رودولف براندت Brandt Rudolf مساعد (هملر) قال فيها:
"لدينا مجموعات كبيرة من الجماجم لكل اجناس البشر تقريباً. ومع هذا فليس فيها من العنصر اليهودي إلا نماذج لأنواع قليلة جداً... والآن تتيج لنا حرب المشرق فرصة سد هذا النقص. ولو تم حصولنا على جماجم القوميسارين اليهود - البولشفيك الذين يمثلون نموذجاً كريها للبشر المنحط تام الخصائص، فسينفتح لنا الباب للدراسة العلمية.
والأستاذ لا يريد جماجم "قوميساري اليهود - البولشفيك الموتى" بدليل إقتراحه أن تؤخذ قياسات رؤوس هؤلاء وهم أحياء أولاً، ثم...

"ويعد قتل هذا اليهودي الشيوعي بحيث لا يلحق برأسه عطب أو ضرر، يقوم الطبيب حالاً بفصل الرأس عن الجسد وإرساله... في علبة صفيح ملحومة بإحكام" ويوصله يشرع الدكتور هيرت في عمل مقاسات علمية أخرى له^(٩٣). كما وعد.

وطرب (هملر) للفكرة وأمر أن "يُمدّ البروفيسور بكل ما يحتاج لأبحاثه. ولقد زوّد بالكثير، وكان المورد الفعلي شخص نازي يسترعي الإنتباه إسمه (فولفرام سيقرز Welfram Sievers) إحتل مقعد الشهادة مراراً ولفترات طويلة في محاكمة نورمبرگ الكبرى، وفي المحاكمة التالية "قضية الأطباء" التي كان فيها واحداً من المتهمين^(٩٤).

إرتقى (سيقرز) بائع الكتب السابق الى رتبة (عقيد) في شرطة ال(إس. إس) والى منصب السكرتير التنفيذي ل(أنيبره Ahnenerbe) وهو معهد البحوث الوراثية، أحدى المؤسسات "العلمية" السخيفة الحمقاء التي أنشأها (هملر) لدراسة فكرة من فكراته المجنونة. وزعم (سيقرز) أن لهذا المعهد خمسين فرعاً للبحوث، منها فرع إسمه "معهد البحوث العلمية العسكرية" ويرأسه (سيقرز) بالذات.

كان ذا عينين ماكرتين توضح سبماؤه عن ذلك الطبع (المفيسستوفلي Mephistophel*) الخبيث. ولحية كثة سوداء بلون الحبر. وفي نورمبرگ إتخذ طابع "ذي اللحية الزرقاء النازي) مقلداً القاتل الفرنسي

٩٢- "محاكمات مجرمي الحرب الكبار" ج ٢٠ ص ٥٤٨.

٩٣- المرجع السالف ص ٥١٩.

٩٤- حكم عليه بالموت ونفذ فيه شنقاً.

* هو الشيطان في رواية فابست الشهيرة من تأليف غوته.

المشهور. ولم يشذ عن الكثير جداً من شخوص هذا التاريخ، بإحتفاله بيوميات منتظمة في غاية الدقة أرسلته هي ومراسلاته التي وصلت سالمةً غير منقوصة الى نطع الجلاذ.

في حزيران ١٩٤٣، أتم سيقرز في معسكر (أوشويتز) إختيار الرجال والنساء الذين ستكون هياكلهم العظمية موضوعاً "للقياسات العلمية" الخاصة ببحوث الأستاذ الطبيب هيرت في جامعة (ستراسبورغ). وكتب تقريراً جاء فيه: "المجموع الكلي (١١٥): مقسمون على الوجه الآتي (٧٩) يهودياً و(٣٠) يهودية و(٤) من الآسيويين وپولنديان، مهياًون للطريقة..". ثم رجا من الدائرة العامة للـ(إس. إس) في برلين أن تعمل على نقلهم من أوشويتز الى معسكر إعتقال ناتسفايلر Natzweiler القريب من ستراسبورغ. وهنا سأله المستنطق البريطاني عن معنى كلمة (الطريقة).

فأجاب سيقرز: "المقاسات الأنثروپولوجية".

- أتعني أن قياساتهم الأنثروپولوجية تؤخذ قبل أن يقتلوا؟ أهذا كل ما يتضمنه التعبير من معنى، اليس كذلك؟

فعقب سيقرز: وكذلك تؤخذ لهم قوالب جيسية.

وماتبع هذا تولّى روايته نقيب الـ(إس. إس) (جوزيف كرامر Josef Kramer). وهو قاتل محترف زوال صناعته في (أوشويتز وداخاو وماوتهاوزن) وغيرها، وحقق شهرة دواية بلقيه الذائع الصيت (وحش بلسن). حكمت عليه بالموت محكمة عسكرية بريطانية في (لويبرغ Lueneborg) قال (وحش بلسن): "أبلغني البروفيسور (هيرت) من المعهد التشريحي في ستراسبورغ، بقرب وصول قافلة سجناء من (أوشويتز). وقال لي: هؤلاء الأشخاص يجب أن يتم قتلهم بالغاز السام في غرفة الغاز الخاصة بمعسكر (ناتسفايلر)، ثم يُنقلون الى معهد التشريح ليكونوا تحت تصرفه. وأعطاني زجاجه تحتوي على مايقارب نصف (بُطل) من الأملاح- أعتقد انها ملح السيانايد. وأرشدني الى المقدار التقريبي الذي يكفي لتسميم السجناء المنقولين من أوشويتز.... وفي أوائل شهر آب ١٩٤٣ تسلمت ثمانين سجيناً وسجيناً تقرر خنقهم بالغاز الذي زودني به هيرت. وفي ليلة من الليالي قصدت الى غرفة الغاز بسيارة صغيرة ومعني خمس عشرة امرأة في الدفعة الأولى هذه. وبوصولي طلبت من النسوة الدخول الى الغرفة لأجل تعقيم أجسادهن، ولم أقل لهن أنهن سيُخنقن بالغاز".

في هذا الزمن كان النازيون قد أتقنوا الأصول. [واسترسل كرامر]: "وبمساعدة عدد من رجال

الحرس نضوت عن النساء ثيابهن ولم أبق على أجسادهن شيئاً وأدخلتهن غرفة الغاز وهن عاريات تماماً. وما أن أقفل الباب عليهن حتى بدأن يعولن ويصرخن. واسقطت مقداراً معيناً من الملح في الأنبوب... واخذت أراقب من كوةٍ ماذا يجري في الداخل. إستنقشت النسوة الغاز حوالي نصف دقيقة ثم سقطن على الأرض... ووجدتهن جثثاً هامدة مسجاةً على الأرض يعلوها الغائط..."

وأفاد النقيب (كرامر) أنه كرر العملية حتى إستصفى كلّ السجناء الثمانين وبعث بجثثهم تباعاً الى الأستاذ هيرت "حسب الطلب".

وسأله القائم على إستجوابه عن شعوره في تلك الفترة، فأدلى بجواب لا يمكن أن يُنسى، ومنه يتوصل المرء الى تفهمٍ لظاهرةٍ نفسيةٍ في الرايخ الثالث شقّ إدراكها على العقول البشرية السوية، قال: "لا أحس بأي مشاعرٍ عند تنفيذ هذه الأعمال. لأنني تسلّمتُ أمراً بقتل السجناء الثمانين بالطريقة التي شرحتها لكم الآن... وهذا على كل، ما دُرِّبْتُ عليه" (٩٥).

ويكمّل شاهد آخر ما حصل بعد ذلك. وهو فرنسي يدعى (هنري هيريبيير Henry Herypierre)، وكان يقوم بمهمة مساعد مختبر الأستاذ هيرت في معهد التشريح بستراسبورگ، حتى وصول الحلفاء، قال هيريبيير: "الشحنة الأولى التي وصلتنا كانت تتألف من ثلاثين جثة امرأة... هذه الجثث الأنثوية لم تزل حارة عند وصولها. وكانت العيون مفتوحة تلمع، حمراء يغشاها الدم بارزة من محاجرها. وثم آثار دماء في الأنف وزوايا الفم، ولم يكن لحالة تصلب الموت Rigor Mortis أثر فيها بعد".

يقول (هيريبيير) أن الشكوك ساورته في أنهم قُتلن قتلاً، ولذلك أسرع لينقل سراً أرقام السجن التي وُشمت على أذرعتهم اليسرى، ووصلت المعهد شحنتان أخريان مجموعتهما ستة وخمسون جثة ذكرٍ تلوح عليها الأعراض السابقة تماماً.

ونقعا بالكحول بإشراف الدكتور هيرت الحبير. إلا أن الأستاذ كان منفعلاً بعض الشيء للأمر كله وإلتفت الى مساعده قائلاً: "بيتر! إن لم تبق فمك مقللاً، فستكون جثة هامة مثل هذه الجثث". وإنهك الأستاذ هيرت في عمله رغم ذلك. وتكشف مراسلات (سيقرز) أن الطبيب - كما كتب له - قام بفصل الرؤوس عن الأجساد، وتنظيم مجموعة الهياكل العظمية التي لم يكن لديهم مثلها قبلاً" لكن قام بعض المصاعب لم يتردد (سيقرز) في إبلاغها الى همملر كما وصفها له (هيرت). [لم يكن رئيس الأنيتريه ذا خبرة طبية أو تشريحية أو على أي المام بهما] فكتب في ٥ أيلول ١٩٤٤:

"نظرا الى القدر الكبير من الأبحاث العلمية الجارية، فإن عملية تحويل الجثث الى هياكل عظمية لم تتم الى حد الآن. ويتطلب وقت طويل لثمانين جثة".

كان الوقت يمرّ مروراً خاطفاً والقوات الفرنسية والأمريكية الزاحفة تدنو من ستراسبورگ. فطلب هيرت "تعليمات" عما يفعله بـ"المجموعة".

"كتب سيقرز الى المقر العام نيابة عن دكتور هيرت [يمكن تجريد الجثث من اللحم وبهذا يتعذر تشخيصها. على أن ذلك يعني أن جزءاً من العمل الكامل على الأقل قد ضاع الجهد المبذول فيه هباءً. وإن هذه المجموعة الفذة سيفقدها العلم، إذ سيكون متعذراً عمل قوالب

٩٥- إستجواب جوزيف كرامر. القضية الأولى من "قضايا محاكمات مجرمي الحرب" وما دعى بمحاكمة الاطباء كان عنوانها "الولايات المتحدة ضد براندت ورفاقه".

جسدية لها فيما بعد. وستكون مجموعة الهياكل العظمية في هذه الحالة غير معروفة. أما الأجزاء اللحمية، فيمكن القول أنها كانت موجودة من زمن الفرنسيين. وقد عثرنا عليها عندما تسلمنا معهد التشريح^(٩٦). وأنها ستُرسَل لأجل الإحراق. أرجو أن تشيروا على: أيّاً من المقترحات الثلاثة التالية أنفذ. (١) الاحتفاظ بكل المجموعة (٢) إتلافها جزئياً (٣) إتلافها كلياً؟

سأل المدعي العام البريطاني وسط السكون الشامل الذي ساد قاعة محكمة نورمبرغ - أيها الشاهد، لماذا أردت تجريد اللحم عن العظم؟ لماذا إقترحت نقل التبعة الى الفرنسيين؟

فاجاب "ذو اللحية الزرقاء" النازي: بصفتي رجلاً من العامة غير مختصّ أقر انه لا رأي لي في الموضوع كله، وإنما نقلت إستفسارات الأستاذ هيرت نصاً وليس لي أي علاقة بقتل هؤلاء الناس. وعملي لا يزيد عن عمل ساعي بريد.

فإرتد اليه المدعي العام قائلاً: بل كنت دائرة بريد، دائرة واحدة من دوائر بريد النازيين الشهيرة وأيمّ الحق!. ولقد كان دفاعاً متهافتاً كثيراً ما تشبث به النازيون أثناء المحاكمات، فيتناوله الإدعاء العام ويهتكة هتكاً دائماً كما كان في هذه المناسبة^(٩٧).

وكشفت ملفات الـ(إس. إس) المستولى عليها أن سيشرز أبلغ رؤسائه في ٢٦ تشرين الأول ١٩٤٤ "ان مجموعة (ستراسبورغ) قد أبيدت تماماً تنفيذاً للتعليمات، وهذا التدبير هو أفضلها نظراً الى الموقف العام"^(٩٨).

ووصف (هيريبير) محاولة إخفاء الأثر بكونها لم تكن ناجحة تماماً: "في أيلول ١٩٤٤، حقق الحلفاء تقدمهم نحو بلفور Belfort. فأمر الأستاذ هيرت كُلاً من (بونغ Bung) وهر (مايير Maier) بتقطيع كل الجثث، ثم حرقها في المحرقة... فسألته هر (مايير) في اليوم التالي هل فرغ من تقطيع كل الجثث؟ فأجاب هر (بونغ) كلاً لم يكن يوسعنا تقطيعها كلها. انه عمل مرهق جداً. لقد تركنا قليلاً منها في المشرحة.

وإكتشفت هناك عندما دخل الجيش السابع الأمريكي تتقدمه فرقة الدروع الفرنسية الثانية الى مدينة ستراسبورغ بعد شهر واحد^(٩٩).

ولم تكن هوية سادة النظام الجديد قاصرة على جمع الهياكل العظمية البشرية، وإنما راحوا يقتنون جلود البشر. وفي هذا الباب لم يكن ثمّ مجال للتعليل بالبحث العلمي أو القيام بتجارب، فجلود سجناء معسكرات الإعتقال، وبخاصة أولئك الذين يُقتلون لهذا الغرض فقط، ليس فيها أكثر من

٩٦- كانت ألمانيا قد ضمت إليها الإلزام بعد سقوط فرنسا في ١٩٤٠، ووضع الألمان ايديهم على جامعة ستراسبورغ.

٩٧- شهادة سيفرز "محاكمة مجرمي الحرب الكبار" الص ٥٢١-٥٢٥.

٩٨- المرجع السالف ص ٥٢٦.

٩٩- إختفى البروفسر الدكتور هيرت. وقد سُمع وهو يغادر ستراسبورغ يقول: "بأنه لن يقبض عليه حياً. ويظهر أنه لم يقبض عليه أحد لا حياً ولا ميتاً. [شهادة هريبير في محضر قضية محاكمة الأطباء]."

قيمة زخرفية. اذ وجد انها تصلح لتكون مظلات ممتازة للمصابيح الكهربائية. وقد رُكِبَ بعض هذه الجلود بناء على توصية خاصة وإشباعاً لرغبة السيدة (إلسي كوخ Ilse Koch) زوج أمر معتقل بوخنفالده. تلك التي كان نزلؤه يلقبونها "بكلية بوخنفالده"^(١٠٠).

وفيما يبدو كان الجلد الذي يعلوه وشم أعلى قيمة. وتحدث سجين ألماني يدعى (أندرياس فافنبرغر Anareas Pfaffenberger) عن هذا في شهادته أمام محكمة نورمبرغ، قال: "... أمر جميع النزلاء ممن يوجد وشم في ابدانهم أن يتوجهوا الى المستوصف... وبعد أن فُحص هؤلاء، أختير منهم من وجد في بدنه أجمل وشم وأكثره فناً، فقتلوا بحقنة سم. ثم أرسلت الجثث الى القسم الباثولوجي. وهناك سلّخت عنها الأجزاء المشوشة المرغوب فيها، ثم عولجت. وبعد الفراغ منها أعطيت قطعاً الى زوج كوخ. فعملت منها أغطية للمصابيح وإستخدمتها في أمور زخرفية أخرى للأثاث المنزلية"^(١٠١). هناك قطعة جلدية بشرية سحرت مشاعر السيدة كوخ ألوشم فيها نُقِشت عليه عبارة (هاينزل وگرتيل Haensel Und Gretel).

وفي المعتقل الآخر (داخاو) كان الطلب على هذه الجلود يفوق العرض، وشهد معتقل چيكي هو الدكتور بلاها Blaha، أمام محكمة نورمبرغ بما يلي: "لايتسير أحيانا جثث كافية ذات جلود جيدة. فيقول لنا الدكتور (راشر): - حسناً سيكون لديكم أجسام. وفي اليوم التالي نتسلم عشرين أو ثلاثين جسداً شاباً قُتلوا جميعهم برصاصة في أعناقهم أو بضربة على الرأس. حتى لا يُصاب الجلد بعطب... يجب ان يكون الجلد لسجناء اصحاء ويشترط خلوه من العيوب"^(١٠٢).

والظاهر ان المقصود بالدكتور هنا، هو (سيگموند راشر Sigmund Rascher)، الذي كان مسؤولاً عن تجارب طبية أشد سادية وأفظع. هذا الدعيّ البربري إسترعى إنتباه (هملر) الذي كان من جملة تتبعاته الشاذة محاولة إنتاج سلالة متفوقة جداً من العنصر النوردي - عن طريق تقارير وردت الى ال(إس. إس) تشير الى أن (السيدة راشر) رُزقت بثلاثة اولاد بعد تجاوزها سن الثامنة والأربعين! وحقيقة الأمر أن الزوجين إختلسا هؤلاء الأطفال من أحد دور اليُتم في فترات متناسبة متوالية وأدعيا بإنجابهم.

١٠٠- كانت سلطة السيدة كوخ على حياة وموت نزلاء (بوخنفالده) مطلقةً. ونزوة واحدة منها تكفي لإيقاع أشد عقوبة بالسجين. حُكم عليها بالحبس المؤبد "في قضية بوخنفالده". الأ انه خفض الى أربع سنوات. ومالبث ان أطلق سراحها. وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٥١ حكمتها محكمته ألمانية بالسجن مدى الحياة بتهمة قتل. وزوجها حكمته محكمة الإس اس بالموت "للتجاوز في القسوة". لكنه خيّر بالخدمة في الجبهة الروسية، إلا ان الأمير فالديك قائد الحرس الأسود في تلك المنطقة أمر بإعدامه قبل ان يفعل ذلك. كانت الأميرة مافالدا بنت ملك وملكة إيطاليا وزوج الأمير فيليب من بين أولئك الذين قتلوا في بوخنفالده.

١٠١- "مؤامرة النازيين وعدوانهم" ج ٦ الص ١٢٢-١٢٣ [وثائق نورمبرغ ٣٢٤٩ PS].

١٠٢- المرجع السالف ج ٥ ص ٩٥٢ [وثائق نورمبرغ ٣٢٤٩ PS].

كان الدكتور راشر في ربيع عام ١٩٤١ يحضر دورة طبية خاصة بسلاح الجو الألماني في مدينة مونيخ، وهناك ثارت في رأسه زويدة دماغية. فكتب عنها لهملر في ١٥ أيار ١٩٤٥، قال له انه وجد وبالهول ما وجد، أن الابحاث الخاصة بتأثير الإرتفاعات العليا على الطيارين قد ظلت في مرحلة الجمود. ولم تحقق خطوة واحدة من التقدم. والسبب في هذا يعزي الى تعذر إجراء الفحوص بالمادة البشرية الحية حتى وقتنا هذا: "لأن مثل هذا التجارب مخفوف بأعظم الأخطار وليس من أحد يرغب التطوع لها. فهلاً أمكنكم أن تيسروا لي إثنين أو ثلاثة من المجرمين المعتادين لأجري عليهم هذه التجارب... ومن المحتمل أن يموت موضوع التجربة التي ستتم بمعرفتي... وإشرافي" (١٠٣).

فأجابه زعيم ال(إس. إس) بعد أسبوع، أن السجناء سيكُونون متوفرين بالطبع وبكل سرورٍ لأجل القيام بالأبحاث الخاصة بالطيران العالي.

وكان (هملر) عند كلمته، وشرح الدكتور راشر بالعمل. وكل ما توصل اليه من نتائج تكشف عنها تقاريره وتقارير الآخرين فيها مما عرض في محكمة نورمبرج فضلاً عن وقائع المحاكمة التالية لأطباء الحرس الأسود في المحكمة عينها.

تقوم المكتشفات التي توصل اليها الدكتور راشر نموذجاً حياً للتخبط والدجل العلمي المزيف. فلأجل إجرائه فحوص الإرتفاعات العليا، نقل غرفة ضغوط القوة الجوية التي كانت في مدينة مونيخ الى معسكر إعتقال (داخاو) المجاور حيث "الختايزر الغينية البشرية" متوفرةً الى أقصى حد وكلها طوع أمره، فيسحب الهواء من فضاء القمره Contraption بحيث يصبح جوها كإرتفاعات العليا بقلّة أوكسجينه وشدة ضغطه. ثم يقوم بمراقبة الأعراض وتدوين الملاحظات. وإليك نموذجاً مبسطاً منها: "الفحص الثالث كان بدون أوكسجين ويضغط يعادل إرتفاعاً قدره (٢٩٤٠٠) قدم. أجري على يهودي عمره (٣٧) سنة صحته جيدة بصورة عامة. التنفس يستمر ثلاثين دقيقة. بعد أربع دقائق يبدأ موضوع التجربة ينضح عرقاً ويدور به رأسه.

تبدأ التشنجات بعد خمس دقائق. وفيما بين الدقيقة السادسة والعاشره يزداد تنفسه سرعة وبصورة متلاحقة لاهثة، ويفقد وعيه. وفي الدقيقة الحادية عشرة حتى الثالثة عشرة يتباطأ التنفس الى حد ثلاث شهقات في الدقيقة الواحدة. حتى يقف تماماً بنهاية الفترة... ويعد حوالي نصف ساعة من توقف النفس يبدأ بتشريح الجثة (١٠٤).

هناك وصف أقل علميةً لسجين نمساوي يشتغل في دائرة الدكتور راشر وإسمه (أنطون باخوليك Anton Pacholeg): "شاهدت بعيني من نافذة المراقبة الزجاجية في غرفة الضغوط.. حيث يقف السجين في فراغ خال من الهواء حتى تتمزق رئتاه... يصابون بالجنون وينتفون شعورهم يريدون

١٠٣- المرجع السالف ج ٤ ص ١٣٢ [وثائق نورمبرج ١٦٠٢ PS].

١٠٤- تقرير الدكتور لهملر (٥ نيسان ١٩٤٢) في محضر وقائع قضية الاطباء رقم (١) "الولايات المتحدة ضد برانند ورفاقه" كان الدكتور كارل برانند طبيب هتلر الخاص ومدير صحة الرايخ. وجد مذنباً وحكم عليه بالموت ونفذ به.

بذلك تخفيف الضغط عنهم ويمزقون اوجهم ورؤوسهم باظافرهم واناملهم، يحاولون تشويه أنفسهم بنوبة جنونهم، ويضربون الجدران بأيديهم ورؤوسهم ويصرخون جاهدين في تخفيف الضغط الهائل على طبيلات آذانهم. هذه الأعراض تنتهي عادة بموت موضوع التجربة^(١٠٥)." أخضع لهذه الفحوص زهاء مائتي معتقل قبل ان ينفذ الدكتور راشر يده منها. ومات منهم ثمانون في أثناء التجربة، اما الباقون فجرى قتلهم فيما بعد لثلا يفضحوا سرها. وقد جاء هذا في شهادة سُمعت أثناء النظر قضية الأطباء في نورمبرگ.

إنتهى مشروع البحوث الخاصة في هذا الموضوع في شهر أيار ١٩٤٢. وفي حدود ذلك الوقت قام الفيلدمارشال (إبرهارد ميلش) رئيس أركان سلاح الجو الألماني بإبلاغ (هملر) شكر گورنگ لتجارب (الدكتور راشر الرائدة). وبعدها بزمن قصير (١٠ تشرين الأول ١٩٤٢) قدّم الجنرال (الفريق) الدكتور هبكه Hippke مفتش الأمور الطبية في سلاح الجو، (الى هملر) "إمتنانه الخاضع المطيع بإسم طب الطيران والبحث العلمي الألماني لتجارب داخاو"، على أنه يرى أنها أغفلت أمراً واحداً وهو أنها لم تضع في حسابها البرد الشديد الذي يكتنف الطيار في طبقات الجو العليا. ولأجل سد هذه الثغرة في البحث، فهو يعلم هملر بأن اللوفتوافه بنت حجرة ضغوط جهزتها باجهزة تجميد وإرتفاع إسمي مقداره (١٠٠٠٠٠) قدم. وزاد يقول "ان تجارب الانجماد على خطوط أخرى تجري الآن في داخاو^(١٠٦)."

حقاً أن التجارب متواصلة والدكتور راشر قائد الحملة وطليعتها هنا أيضاً. إلا أن هزة شكٍ إعترت فريقياً من زملائه الأطباء في سلاح الجو. وراحوا يتساءلون فيما بينهم "أمن المسيحية ما يفعله راشر؟" وكان اللغظ يدور في اوساط قليلة من أطباء اللوفتوافه. فسمع به هملر وثار تائرته وبادر فوراً بالكتابة الى الفيلدمارشال (ميلش) محتجاً على هذه العوائق، التي تسببها "الأوساط الطبية المسيحية". في القوة الجوية. ورجا رئيس أركان الجو أن يتنازل عن خدمات راشر في طب القوة الجوية حتى يتمكن من ضمه الى ال(إس. إس). واقترح أن يجد "طبيباً غير مسيحي" إلا أنه مُشرفٌ بعلمه، للمصادقة على شرعية أعمال الدكتور راشر القيمة. كما إقترح زعيم ال(إس. إس) أن يأخذ شخصياً على عاتقه مسؤولية توفير أفراد من سقط المجتمع ومجرمين لا يستحقون غير الموت من معسكرات الاعتقال لإجراء هذه التجارب عليهم."

كانت "تجارب الإنجماد" التي قام بها الدكتور راشر، على نوعين: الأول أن يجد أقصى مقدار من البرد يتحمله الإنسان قبل أن يموت. والثاني أن يجد أنجح الوسائل لتدفئة شخص مازال حياً بعد أن تعرض لأقصى حدٍ من البرد. واختير اسلوبان لتجميد الشخص: تغطيسه في حوضٍ يحوي ماءً بدرجة الإنجماد. أو تركه عارياً تماماً في الثلج لمدة ليلة واحدة أثناء الشتاء. والتقارير التي بعث بها (راشر)

١٠٥ - مؤامرة النازيين وعدوانهم ملحق - أ - الص ٤١٦ - ٤١٧ [وثائق نورمبرگ ٢٤٢٨ PS].
١٠٦ - رسالة البروفسر الدكتور هبكه الى هملر (١٠ تشرين الأول ١٩٤٢) في محضر وقائع القضية الأولى.

الى (هملر) حول تجاربه "في الإنجماد" و"التدفئة" كثيرة جداً. ويكفي لأخذ فكرة عنها، مثل واحد أو مثلان. ومن أوائلها التقرير المؤرخ ١٠ أيلول ١٩٤٢: "ألقي الاشخاص الذين تُجرى عليهم الفحوص في الماء بعد إكسائهم بزة طيران كاملة...مع الخوذة. وألبسوا سترة نجاة حتى يطفوا. واجريت التجارب في ماء درجة حرارته تختلف بين ٣٦.٥ و ٥٣.٥ فهرنهايت. في أول سلسلة من الفحوص أبقى قفا الرأس ومؤخرة الدماغ فوق سطح الماء. وفي سلسلة ثانية أبقى القذال والمخيخ تحت سطح الماء. درجة حرارة البطن ٧٩.٥ ودرجة حرارة منطقة العصعص ٧٩.٧ وقد سُجّلت كهربائياً. الوفاة لا تقع إلا عندما يثلج المخيخ والنخاع العظمى.

ووجد أثناء تشريح هذه الحالات. كميات كبيرة من الدم الحر السائب في قاع الجمجمه وتجويّفها دائماً، وقد يبلغ كميته أحياناً (بُطلا) واحداً. ويظهر في البطين الأيمن من القلب عادةً، إنتفاخ واسع. والأشخاص في هذه الفحوص يموتون لامحالة عندما تهبط حرارة الجسم الى ٨٢.٥ فهرنهايت. ولاتفيد كل وسائل الإسعاف. هذه المكتشفات التشريحية تثبت بوضوح أهمية واقى الرأس والرقبة الدافيء. في البزة الجوية المنفوخة التي هي الآن في طور الإعداد^(١٠٧).

وارفق الدكتور (راشر) بتقريره لائحة تتضمن ست حالات وفاة. اثبت فيها درجات حرارة الماء ودرجات حرارة الجسم عند إنتشاله من الماء، ودرجته عند حصول الوفاة، ودرجاته طوال فترة بقائه في الماء. والزمن الذي يستغرقه الشخص ليموت. وقد إستنتج أن أصلب الرجال عوداً يتحمل الماء المثلوج مائة دقيقة وأضعفهم لا يتحمله أكثر من ثلاث وخمسين دقيقة.

وأدلى فالتر نف Walther Neff من نزلاء المعسكر ومن فراشي الدكتور راشر- بوصف الرجل البسيط لفحص واحد من فحوص الماء المنجمد في (قضية الاطباء) أمام محكمة نورمبرگ: "كانت هذه أفضع كُّل التجارب التي أجريت. جيء من ثكنات المعسكر بضابطین روسيين وأمر أن تُنضى عنهما ثيابهما وأنزلا الماء المثلوج عاريين تماماً ومرت الساعة تلو الساعة. وفي حين كانت الغيبوبة تحصل عادةً بعد ستين دقيقة وهو أفضى حد في هذه التجارب بقي الضابطات مسيطرين على كامل قواهما العقلية طوال ساعتين ونصف ساعة. وعيشاً حاولنا اقناع (راشر) بحقنها حقنة منومة ولم تغد معه توسلاتنا. ولما شارفت الساعة الثالثة من وقت إنزالهما الحوض قال أحدها لزميله الآخر "ايها الرفيق أرجو منك أن تطلب من الضابط إطلاق الرصاص علينا. فرد عليه أحدهما للآخر "وداعاً أيها الرفيق.. وداعاً أيها الرفيق" ترجم هذه العبارات لراشر، شاب بولندي كان معنا، ولكن ببعض اختلافٍ. وانصرف راشر الى مكتبه فإنتهز البولندي فرصته وأسرع يحاول تخدير الضابطین بالكلوروفورم ألا ان راشر عاد حالاً وأنشأ يهددنا بمسدسه...

١٠٧- مؤامرة النازيين وعدوانهم ج ٤ الص ١٣٥-١٣٦ [وثائق نورمبرگ ١٦١٨-PS].

ودامت التجربة خمس ساعات على أقل تقدير قبل أن يقضيا نحبهما^(١٠٨).

كان (الرئيس) الأسمي لمباديء تجارب الماء الأولى. طبيباً، إسمه دكتور هولزلوئير (Dr Holzloehner) وهو أستاذ طب في جامعة (كييل)، يعينه فيها المدعو الدكتور فينكه Dr.Finke. وبعد إشتغالهما مع (راشر) زهاء شهرين، إقتنعا أنهما وقفا على كل ما يمكن الوقوف فيه من الإحتمالات التجريبية وإستنفذا كل الفحوص الميسورة، راح ثلاثتهم يدونون خلاصة ما وجدوه في تقرير "سري" بإثنتين وثلاثين صحيفة للقوة الجوية الألمانية، وجعلوا له عنوان "تجارب الإنجماد على البشر". ثم دعوا الى إجتماع لعلماء الألمان في نورمبرگ بتاريخ ٢٦ و٢٧ تشرين الأول ١٩٤٢ لسماع حصاد تجاربهما ومناقشته. وكان الموضوع "مسائل طبية في الشؤون البحرية وغوائل الشتاء"، وقد وردت شهادات في محاكمة الأطباء تشير الى أن الإجتماع ساهم فيه خمسة وستون عالماً ألمانياً، من بينهم عدد من أشهر رجال الطب. ومع ان الأطباء الثلاثة لم يتركوا شكاً في أذهان سامعيهم بأن عدداً كبيراً من البشر قد لاقوا حتوفهم بسبب تجاربهم هذه، إلا أنه لم يوجه لهم سؤال بهذا الصدد ولم يرتفع صوت إحتجاج ضدهم. ترك الدكتوران هولزلوئير^(١٠٩). وفينكه العمل في هذا الوقت. وبقي الدكتور راشر المناظر يواصل العمل منفرداً من تشرين الأول ١٩٤٢ حتى أيار ١٩٤٣. واراد مما اراد، متابعة التجارب في ما أسماه "الإنجماد الجاف" وكتب (لهملر) بأن أوشويتز...: "هي أفضل من داخاو وأنسب لإجراء الفحوص، لأن الجو هناك أشد قسوة"، ولأن إتساع البقعة وبعد الموقع يسببان أقل مايمكن من الإنباه والفضول الى ما يجري في المعسكر "عندما يسري الانجماد في الاشخاص الذين تجرى عليهم التجربة يصرخون صراخاً عظيماً".

ولسبب ما، لم بتغير موقع التجارب، ومضى الدكتور راشر في دراساته قدماً في (داخاو) متطلعاً الى شتاء حقيقي.

"[كتب الى همملر في أوائل ربيع ١٩٤٣]: شكراً لله، فقد دهتنا في داخاو موجة بردٍ شديدة. بعض الأشخاص ظلوا في العراء أربع عشرة ساعة في درجة حرارة جو قدرها ٢١ درجة، محافظين على درجة حرارة داخلية قدرها ٧٧ مع اصابتهم بضربات صقيع Peripheral^(١١٠).

وفي محاكمة الأطباء بنورمبرگ أدلى (نيف) أيضاً بشهادة الرجل البسيط واصفا تجارب رئيسه في "الإنجماد الجاف" قال: "يوضع السجين وهو عار تماماً فوق نقالة جرحى وتترك تحت السماء خارج الشكنات مساءً ويغطى بقطعة من القماش وبين ساعة وأخرى يلقي عليه جردل من الماء المثلوج. هؤلاء الاشخاص الحاضعون للتجربة يبقون في العراء هكذا حتى الصباح. وتُسجّل

١٠٨- شهادة (فالتر نيف) في محضر جلسات القضية رقم ١.

١٠٩- ربما كان ضمير الأستاذ هولزلوئير مثقلاً بالجريمة. فقد قتل نفسه إثر إلقاء القبض عليه وإستجواب البريطانيين له لأول مرة.

١١٠- كتاب الدكتور راشر الى همملر في ٤ نيسان ١٩٤٣. في محضر وقائع القضية الأولى.

درجات حرارتهم. ثم إن الدكتور (راشر) قال فيما بعد: من الخطأ وضع غطاء على الشخص أو رشه بالماء... من الآن فصاعداً سيتعرض الأشخاص للتجربة بدون غطاء. والتجربة التالية أجريت على عشرة سجناء تم عرضهم في الجو دون أي وقاء. أخذ السجناء يجمدون ببطء وكان الدكتور راشر ومساعدته يسجلان درجة الحرارة وعمل القلب والتنفس وما إلى ذلك. وكثيراً ما كانت صراخات المعذبين تشق غيبه الليل".

"[وشرح (نيف) للمحكمة] في مبدأ الأمر منع راشر إجراء هذه الفحوص على الأشخاص وهم في حالة تخدير. إلا أنهم كانوا يقومون بضوضاء شديدة حتى بات مستحيلًا على (راشر) الإستمرار في تجاربه دون تخدير^(١١١)."

الأشخاص الذين تجري التجارب تُجرى عليهم يُتركون يلفظوا أنفاسهم الأخيرة، فهم يستحقون ذلك كما قال (هملر). يموتون في أحواض الماء المتلوج أو ممددين على الأرض خارج الثكنات في ليلة شتاء فظيعة في داخا وهم عراة تماماً. أما إذا بقوا أحياء بعد التجربة، فلن يمتد بهم الأجل كثيراً وتتم تصفيتهم. إلا أن طياري ألمانيا الشجعان وبحارتها الذين تجري هذه التجارب لأجلهم ولمنفعتهم كما يُفترض، قد يجدون أنفسهم غارقين في مياه المحيط المنجمد الشمالي المتلوجة أو هائمين في أرض جليدية مترامية فوق الدائرة القطبية في النرويج أو فنلندا أو شمال روسيا. والواجب يقضي بإنقاذهم إن كان الأمر ممكناً. لذلك راح الكنتور (راشر) الذي لا يُبارى، يجري على خنازيره الغينية البشرية في داخا ما أطلق عليه "تجارب التدفئة". أراد أن يعرف ماهي أفضل وسيلة لتدفئة إنسان متجمد وإعادة حرارته الداخلية إليه وإنقاذ حياته؟

لم يبخل (هاينريخ هملر) على مجموعة علمائه الدؤبين بتقديم "حلوله العملية". فاقترح على (راشر) تجربة "التدفئة بحرارة الحيوان"، إلا أن الطبيب لم يجد في الفكرة ما يبعث على الإهتمام، وكتب لزعيم ال(إس. إس) "إن التدفئة بحرارة الحيوانات - اعني بأجسام الحيوانات والنساء عمل بطيء جداً". إلا أن (هملر) ما فتىء يلاحقه بإقتراحه، وكتب إليه يقول "إن إهتمامي عظيم جداً في موضوع التجربة بحرارة الحيوان. وإعتقادي الشخصي أن هذه التجارب قد تؤتي بأفضل النتائج وأحسنها".

مهما بلغ إرتياب الدكتور (راشر) في جدوى هذه التجربة المقترحة، إلا أنه لم يكن بالرجل الذي يتجاهل إقتراحاً صدر من زعيم ال(إس. إس). فأسرع بياشر سلسلة من أفضع التجارب شذوذاً وفظاعةً. وسجل مراحلها المنحرفة بتفاصيلها المخجلة للأجيال القادمة. أرسل إليه من معسكر إعتقال رافنسبروك للنساء، أربع نزيلات. وكان في واحدةٍ منهن شيء عكّر ذهن الطبيب (كلهن كُنّ مدرجات في قائمة العواهر).

١١١- شهادة فالتر نيف (المرجع السالف).

ولهذا كتب الى رؤوساه بما أشغل باله: "وجدت في إحدى النسوة اللاتي أرسلن إلي خصائص بادية للعيان للعنصر النوردي لا يمكن تجاهلها... فسألت الفتاة لماذا تطوعت لتزاول الفحش هنا؟ فأجابت ليتسنى لي الخروج من معسكر الإعتقال. ولما إعترضت عليها بأن تعاطي البغاء هو حطة وعار أجابتنى بقولها: نصف سنة في المواخير خير من نصف سنة في معسكر الإعتقال. ثار ضميري القومي لفكرة قيام فتاة نوردية خالصة المظاهر بمضاجعة عناصر وقوميات منحة في معسكر الإعتقال... ولهذا السبب رفضت استخدام الفتاة في تجاربي"^(١١٢).

على أنه استخدم أخريات، كان شعرهن أخف شفرةً وعيونهن أقل زرقاً. ثم أسرع بالنتائج الى هملر في تقرير "سري" مؤرخ ١٢ شباط ١٩٤٢^(١١٣): "جمد الأشخاص الخاضعون للفحوص بالطريقة المعتادة عراة وكساء في ماء بارد تختلف درجاته... وتم رفعهم من الماء عند درجة حرارة ثابتة وهي (٨٦) فهرنهايت. في ثمان حالات وضع الأشخاص المنجمدون كل شخص بين امرأتين عاريتين في سرير واسع. وأمرت المرأتين أن تلتصقا بالرجل المنجمد ما أمكنهما، ثم غطيت الثلاثة بالبطانيات... وما أن عاد الرشد الى الأشخاص المنجمدين، حتى بقوا مستيقظين الى الأخير ولم تدركهم نوبة إغماء أخرى. وفهموا الأمر حالاً وراحوا يزيدون إلتصاقهم بأبدان النسوة العاريات. وكان إرتفاع درجة حرارة الجسم تصعد بالسرعة التي تصعد بها حرارة الأشخاص الذين دُفئوا بالأغطية السميكة فقط... وشد أربعة اشخاص منجمدون عن سائرهم. إذ تمكنوا من الجماع وهم في درجة حرارة جسم يتراوح بين ٨٩.٥ و٨٦. وعلى إثر الوقوع بدأ إرتفاع سريع للغاية في حرارة الجسم يضاهي ما يحققه حمام الماء الساخن في هذا المجال".

ولدهشة الدكتور (راشر) وجد أن امرأة واحدة تحققت في تدفئة الرجل ما لاتحققه امرأتان وتستغرق وقتاً أقل. "اني أعزو ذلك الى حقيقة انعدام الحياء الشخصي وتوفير العادة الطبيعية. فالمرأة اذ ذاك تزداد التصاقاً بالشخص المنجمد بلا حرج. وهنا أيضاً تكون العودة الى حالة الرشد التام سريعةً. وهناك حالة واحدة فقط، لم يتحقق فيها إلا درجة إرتفاع بسيطة ومات الشخص بأعراض النزف الدماغي. وتأييد ذلك بالتشريح فيما بعد."

ومجمل القول فإن هذا المشعوذ القاتل يستنتج أن تدفئة رجل منجمد بواسطة النساء إنما تتم بشكل بطيء جداً وأن الحمام الساخن هو أشد مفعولاً.

وختم كلامه بقوله: "الأشخاص المنجمدون الذين تسمح لهم حالتهم البدنية ولياقتهم الصحية بالجماع هم وحدهم يدفأون بسرعة عجيبة وهم كذلك يبدون سرعة مدهشة في التماثل الى الشفاء والعودة الى الحالة الطبيعية."

١١٢- رسالة هملر وإحتجاج راشر (المرجع السالف).

١١٣- [P. S ١٨١٦] في محضر القضية الاولى. لم تُطبع في "محاكمات مجرمي الحرب الكبار" والترجمة الإنكليزية في "مؤامرة النازيين وعدوانهم" مختصر لاتغني ولا تفيد.

وعلى ما جاء في شهادات محاكمة الأطباء تم إجراء ما يناهز (٤٠٠) تجربة إنجمادٍ على (٣٠٠) شخصٍ مات منهم أثناء التجربة عدد يتراوح بين ٨٠ و ٩٠ حالة. أما الباقيون (باستثناء قلة ضئيلة) فقد قُتلوا فيما بعد. وأصيب بعضهم بالجنون. ويشاء القدر ألا يكون (راشر) موجوداً في محاكمة الأطباء للإدلاء بأقواله. لقد واصل تجاربه الدموية في مختلف الميادين الجديدة التي يضيق بنا المجال عن سردها - الى شهر أيار ١٩٤٤. وفيه إعتقله الحرس الأسود مع زوجه لا بسبب تجاربه القاتلة كما قد ينصرف اليه الذهن، بل بتهمة غشه هو وزوجه بخصوص طريقة حصولهما على أطفالهما الثلاثة، إن نكايته مثل هذه كانت أكثر من ان يتحملها (هملر) المعروف بعبادته للأمهات الألمانيات. لقد وثق من كل قلبه بزعم السيدة (راشر) أنها حملت أولادهما الثلاثة بعد إجتيازها سن اليأس وبلوغها الثامنة والأربعين. وعصف الغضب به حين علم أنها اختطفتهم تباعاً من دار لليتيم. وهكذا وضع الدكتور (راشر) في الثكنة السياسية من معسكر إعتقال داخاو المألوف لديه، وأودعت عقيلته معتقل راغنيسبروك النسوي الذي أمدّ الدكتور بما إحتاجه من عواهر لفحوص التدفئة الحيوانية. ولم يمتد بهما الأجل طويلاً، والمعتقد أن هملر أمر شخصياً بإعدامهما الحياة، فكان واحداً من آخر أعماله في حياته إذ قد يكونان شاهدين محرّجين له في المستقبل.

إلا أن عدداً من هؤلاء الشهود المحرّجين إمتد بهم العمر ليقفوا متهمين أمام المحكمة. فحكم على سبعة منهم بالموت ونُفذ فيهم شنقاً. وظلوا الى الأخير يدافعون عن مشروعية تجاربهم القتالة ووصفوها بالأعمال القومية التي توخوا بها خدمة الوطن الأكبر.. والأنثى الوحيدة بين المتهمين الطيبية (هرتا و اوبرهوسر Herta Oberheuser) حُكمت بالسجن عشرين سنة بتهمة زرق حقن سامة (لخمس اوست) نساءً بولنديات من بين مئات قاسين العذاب المرّ على يد الأشرار المناحيس في معسكر إعتقال راغنيسبروك. وبرّيء عدد آخر منهم كالدكتور السبيء الصيت (پوركورني) الذي أراد إخفاء الملايين من رجال العدو. وقليل من ندم على أعماله وإستيقظ ضميره.

وفي محاكمة ثانية لأطباء الاطفال وقف الدكتور (ادوين كاتزينلنبوگن Katzenellenbogen Edwin) العضو الجامعي لكلية هارثرد للطب، وطلب من المحكمة أن تنزل به عقوبة الموت قائلاً "لقد رسمتم وصمة (قاييل) على جيبيني، وأي طبيب إرتكب ما اتهمت به من جرائم يستحق ان يقتل" وحكم عليه بالسجن مدى الحياة^(١١٤).

١١٤- الكساندر ميتششرليخ Alexander Mitscherlich (دكتور طب). وفريد ميلكه Fred Mielke (اطباء الاطفال) الص ١٤٦ - ١٧٠) وهي خلاصة ممتازة لقضية الأطباء" كتبها ألمانيان. كان الدكتور ميتششرليخ رئيس لجنة الاطباء الألمان المنتدبين وقت المحاكمة.

مقتل "هيدريخ" ونهاية "ليديشي"

في أواسط الحرب. أنزل بزعماء العصابات من سادة النظام الجديد عقوبة شديدة لذبحهم الشعوب المقهورة وإبادتها. وكان المحكوم (هيدريخ) رئيس شرطة أمن الرايخ ومدير أمنه ونائب رئيس الغشتاپو. هذا الرجل الطويل الأنف القاسي العينين البالغ من العمر ٣٨ سنة، والشرطي بطبعه الذي هو من طينة إبليس ومن عمله. عبقرى "الحل النهائي" الملقب في سائر البلاد المحتلة "بهيدريخ الجلاد"، لقي مصرعه وقضى غير مأسوف عليه. دفعه تلهفه الشديد للمزيد من السلطان ودسه سرّاً لإزاحة (هملر) عن طريقه إلى ان يحرز لنفسه منصباً آخر زيادة على مناصبه الأخرى، وهو "حامي بوهيميا ومورافيا بالوكالة". وأرسل هتلر العجوز المسكين (نيوراث) حامي الإقليم في إجازة مرضية غير محدودة في أيلول ١٩٤١. وحل هيدريخ محله مستوياً على العرش القديم للملوك البوهيميين في حصن (هراد شين) في براغ. إلا أن الزمن كان له بالمرصاد، فلم يطل به الحكم.

في صبيحة ٢٩ أيار ١٩٤٢، بينما كان هيدريخ يقود سيارته (المرسيدس) الرياضية المكشوفة عائداً من مغناه الريفي الى حصن براغ، القيت عليه قنبلة من صنع بريطاني فمزقت السيارة ونشرت اشلاءها وحطمت عمود سائقها الفقري. وكان المسؤولان عن قذفها چيكيين من قوات جيش چيكوسلوفاكيا الحرة. أنزلتهما بالمظلة طائرة بريطانية، وهما (يان كوبيس Jan Kubis) و(جوزف غابياك Josef Goleik) وكانا على أتم إعداد وتمرن للقيام بمهمتهما إذ استطاعا الفرار بسلام من الدخان أحدثاه عند إنساحيهما. ولقيا الملجأ عند قساوسة بيعة القديس (كارل بورومايوس Karl Borromaeus) في براغ. قضى (هيدريخ) نحيبه متأثراً بجراحه في ٤ حزيران. وكان ذلك إيذاناً بالشأر الألماني على طريقة المراسيم التوتونية الغابرة- لمقتل أحد ابطالهم.

وتفصح تقارير الغشتاپو أنهم جزروا بسبب الحادثة (١٣٣١) چيكيياً بينهم (٢٠١) شخصاً تم قتلهم فوراً^(١١٥).

وحاصر رجال الحرس الأسود القاتلين الفعليين مع مائة وعشرين مقاتلاً من الأنصار الجيك، الذين كانوا مختلفين في بيعة (كارل بورومايوس) وقضى عليهم الى آخر رجل^(١١٦). على أن سهم اليهود من الكارثة بسبب هذا العمل الذي وجده العنصر المتفوق تحدياً له- كان أكبر وأفدح. فقد طرد ثلاثة آلاف عن الحي اليهودي تيريزنشتاد Theresinstadt (الممتاز). وأرسلوا الى المشرق حيث قُتلوا. وأمر كوبلز

١١٥- نشرة مكتبة فيينر Wiener سنة ١٩٥١ ج ٥ الص ١-٢، اقتبسها واتيلنكر "الحرس الأسود" ص ٢١٦.
١١٦- يستفاد من قول شللنبرگ الذي كان هناك. ان الغشتاپو لم يعلم قط بأن القاتلين الفعليين كانا بين الموتى في البيعة (شللنبرگ- الميتة ص ٢٩٢).

يوم إلقاء القنبلة بجمع خمسمائة من اليهود القليلين الذين بقوا احراراً في برلين. وفي يوم موت (هيدريخ) نفذ مائة وإثنين وخمسين منهم حكم الموت. إنتقاماً "وجزاً".

من كل الولايات التي نُجِمت عن مقتل هيدريخ. سيبقى خالداً في ذهن العالم المتمدين ذكر مصير قرية ليدتشي Lidice الصغيرة، القريبة من كلادنو Kladno مدينة المناجم غير بعيد عن براغ. ولم يكن ثم سبب في تطبيق هذه الهمجية التي فاقت كل الحدود على مجتمع ريفي صغير مطمئن، إلا ليضرب به مثل لشعب مقهور تجراً على حياة واحد من رجال محتليه القاهر المرهوبي الجانب. في صبيحة يوم ٩ حزيران ١٩٤٢ وصل قرية (ليدتشي) شاحنتان معبئتان بشرطة أمن ألمانية، يقودها النقيب ماكس روستوك Max Rostock^(١١٧).

فطوقها ولم يسمح لأحد بالخروج منها. لكن سُمح بدخولها لكل ساكن فيها وإتفق أنه كان بعيداً عنها. وحاول صبي في الثانية عشرة كان قد أمها في نزهة، أن يتسلل الى الخارج فأطلق عليه الرصاص وصُرع في الحال. وفرت امرأة قروية عبر الحقول فأدركها الرصاص في ظهرها وقُتلت. ثم حبس كل سكانها الذكور في مخزن للحبوب وإسطبل وسرداب تعود الى الفلاح هوراك Horak شيخ القرية.

وفي اليوم التالي بدأ الشرطة منذ انبلاج الفجر حتى الساعة الرابعة بعد الظهر يسوقون المعتقلين عشرة عشرة الى حديقة تقع وراء مخزن الغلة أمام فصيلة إعدام ليقتلوا تباعاً. وبلغ المجموع الكلي ١٧٢ ذكراً بين رجلٍ وحدثٍ لا يقل عمره عن السادسة عشرة. وقُبض على تسعة عشر رجلاً آخر يعملون في مناجم كلادنو أثناء المجزرة وأرسلوا الى براغ حيث تم إهلاكهم. وقُبض على سبع نساء من القرية وأرسلن الى براغ وفيها قُتلن. أما باقي النساء وعددهن (١٩٥)، فقد جرى نقلهن الى معسكر إعتقال (رافنسبروك النسائي) في ألمانيا. وهناك حُنق سبع منهن بغرف الغاز، وإختفت ثلاث. ومات (٤٢) من سوء المعاملة. وأخذ أربع من نساء القرية كُن في آخر أيام حملهن إلى مستشفى ولادة في براغ. وقُتلت الاجنة الوليدة حالما وضعنهن ونُقلت النفساوات الى (رافنسبروك).

بقي على الألمان ان يتخلصوا من أطفال (ليدتشي) وصغارها، الذين قتل آباؤهم وسُبيت أمهاتهم. الحق يُقال ان الألمان لم يقتلوهم حتى الذكور منهم، بل نقلوهم الى معسكر إعتقال (غنيزناو) وكانوا (تسعين) عدداً، منهم سبعة أعمارهم تقل عن العام الواحد إنتقاهم النازيون بعد فحص مناسب قام به خبراء هملر "في الملامح القومية"، وأرسلوا الى ألمانيا لينشأوا ألمانياً بأسماء ألمانية جديدة. وبهذا الشكل تم تصريف الآخرين فيما بعد.

نختم التقرير الرسمي عن ليدتشي الذي رفعته الحكومة الچيكوسلوفاكية الى محكمة نورمبرگ بالعبارة التالية "هؤلاء فُقد كل أثر لهم".

١١٧- سُتق في براغ في شهر آب ١٩٥١.

ويشأء حسن الحظ أن يعثر على عددٍ منهم بعد الحرب بمدةٍ. وأذكر أنني في خريف ١٩٤٥ قرأت بعض نداءات تفطر القلب نشرتها في صحف ألمانيا، التي يشرف عليها الحلفاء، أولئك الامهات اللاتي بقين أحياء من سكان (ليدتشي)، يطلبن فيها من شعب الألمان مساعدتهن في التفتيش عن أطفالهن وإرسالهم الى ذويهم^(١١٨).

أما القرية نفسها، فقد مُسحت من وجه الأرض مسحاً. إذ ما أن تم ذبح الرجال وتُقل النساء والأطفال منها حتى أضرَم رجال الأمن النار فيها، ثم نسفوا أبنيتها بالديناميت. ومرّوا عليها بدباباتهم حتى سويت بالقاع.

ان ليدتشي لم تكن القرية الوحيدة التي يُضرب بها المثل للوحشية النازية من هذا النوع. فشم قرية أخرى في البلاد المحتلة لاقت هذه النهاية البربرية والمصير الأسود هي قرية (ليژاكي Lezhaky) في چيكوسلوفاكيا أيضاً، وهناك عدد كبير في بولندا وروسيا واليونان ويوغوسلافيا، حتى في الغرب حيث كان النظام الجديد أقل ضراوة نسبياً. وكرر الألمان مأساة ليدتشي، وإن كانوا غالباً ينقلون الرجال والنساء والأطفال الى معسكرات إعتقال منفصلة ثم يهدمون كل بنايات القرية حتى يسووها بالقاع قرية تيليفاگ Televaag في النرويج.

إلا انه أزهقت مجموعة كبيرة من الأرواح في قرية (أورادور) على نهر گلان Oradour-sur-Glane الفرنسية القريبة من ليموج Limoge في ١٠ حزيران ١٩٤٤ بعد مذبحه ليدتشي بعامين بالضبط. فقد قامت وحدة من ال(إس.إس) التابعة لفرقة (الرايخ Das Reich) التي نالت شهرة داوية في نشر الإرهاب - إن لم يكن! في الحرب الروسية، بالزحف على القرية الفرنسية وتطويقها ثم أمرت بأن يجتمع كل السكان في الساحة المركزية. وهناك أبلغ القائد أن الأنبياء الواردة اليه تؤيد وجود متفجرات مخبأة في القرية وسيقومون الآن بالتفتيش وفحص بطائق الهوية. ثم أقفل الابواب على كل سكان القرية البالغ عددهم (٦٢٥) نفساً. الرجال حبسوا في مخازن الغلة. والنساء والاطفال سيقوا الى بيعة القرية. ثم أضرَموا النار في كل البنايات وأطبق الجنود الألمان على السكان. ومن لم يمت من الرجال حرقاً حصدته المدافع الرشاشة حتى ابيدوا عن بكرة أبيهم. ثم اديرت فوهات المدافع الرشاشة الى البيعة حيث النساء والاطفال محتجزون فمن لم يقتل منهم أتت عليه النار التي اضرَمها الألمان فيها. وبعد ثلاثة أيام وجد مطران (ليموج) جثث خمسة عشر صبياً متفحمة في كومة واحدة خلف مذبح البيعة المحترقة.

وتبيّن من وقائع محكمة عسكرية فرنسية بعد تسع سنوات (١٩٥٣) أن (٦٤٢) شخصاً من سكان (اورادور) قد لاقوا حتفهم في المجزرة، (٢٤٥) امرأة و(٢٠٧) طفلاً و(١٩٠) رجلاً. ولم يبق من مجموع سكانها الكلي غير عشرة إحتالوا على الموت رغم اصابتهم بحروق بالغة، فتخلصوا من ١١٨- ابلغت (الأونرا) في ٢ نيسان ١٩٤٧ ان سبعة عشر منهم عشر عليهم في باقاريا وأرسلوا الى امهاتهن في چيكوسلوفاكيا.



معتقل داخاو (قرب ميونيخ)

برائته^(١١٩). ولم يُعد (اورادور) مثل أختها ليدتشي. وظلت خرائبها ذكرى حية لنظام هتلر الجديد في أوروبا. ويقف الآن هيكل البيعة المهشم يُطل على الريف المجاور الساكن مذكراً بيوم حزيران الجميل قبيل أوان حصاد الغلة، يوم إمّحت القرية مع سكانها وزالت من الوجود فجأة. وفي موضع كانت تحتله نافذة فيما مضى تُبتت لافتة صغيره دون عليها ما يأتي "مدام روفانس Madame Rouffance الشخص الوحيد الحي في البيعة هربت من هذه النافذة". وعلى واجهة خرائب البيعة علّق تمثال صغير للسيد المسيح مسمراً على صليب حديدي صديء.

تلك هي بداية نظام هتلر الجديد - كما صورناه في هذا الفصل. تلك هي مطالع إمبراطورية العصابات النازية في أوروبا. ولحسن حظ البشرية حُطمت وهي في مهدها - لم تحطمها ثورة الشعب الألماني على هذه الردة الرجعية الى عهود البربرية، بل بقهر السلاح الألماني وإسقاط الرايخ الثالث الذي تلاه. وهي القصة التي بقي علينا أن نقصها.

١١٩- حكم على عشرين من رجال وحدة ال(إس. إس) بالموت ولم ينفذ إلا باثنين، أما الباقون فخُفعت أحكامهم الى السجن مدداً تتفاوت بين ٥-١٢ سنة. أما قائد فرقة الرايخ من الإس. إس الفريق: اللفتنتن جنرال هاينز لامردينغ Heinz Lammerding، فقد حُكم عليه بالموت غياباً. ولم يقبض عليه حتى اليوم على مدى معلوماتي. وأما القائد المنفذ للمجزرة الرائد أوتو ديكمان Otto Dickmann، فقد قتل في ميدان الحرب بنورماندي بعد بضعة أيام.